

تاريخ الشيعة وعقيدتهم

تلخيص من
أضواء على عقائد الشيعة الإماميّة وتاريخهم

تأليف: جعفر السبحاني
الملخّص: أكبر أسعدي

بسم الله الرحمن الرحیم

تاریخ الشیعه و عقیدتهم

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعهٔ:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

تاریخ الشیعه و عقیدتهم ----- ۱۱

اشارة ----- ۱۱

المقدّمة ----- ۱۱

اشارة ----- ۱۱

سمات العقیدة الإسلامیة ----- ۱۵

الفصل الاوّل: الشیعة فی موکب التاریخ ----- ۱۹

مبدأ التشیّع وتاریخ نشأته ----- ۱۹

الشیعة فی کلمات المؤرخین وأصحاب الفرق ----- ۲۲

روّاد التشیع فی عصر النبی (ص) ----- ۲۳

الکتب المؤلّفة حول روّاد التشیّع ----- ۲۴

الشیعة فی العصرین: الأموی والعباسی ----- ۲۵

الشیعة فی العصر الأموی ----- ۲۵

بیان معاویة إلی عمّاله: ----- ۲۸

ضحایا الغدر الأموی: ----- ۲۹

الشیعة فی العصر العباسی ----- ۳۰

فرضیات وهمیة لنشأة التشیع ----- ۳۵

اشارة ----- ۳۵

الفرضیة الأولی: الشیعة ویوم السقیفة! ----- ۳۶

الفرضیة الثانیة: التشیّع صنیع عبدالله بن سبأ ----- ۳۷

اشارة ----- ۳۷

نظر المحقّقین فی الموضوع: ----- ۳۹

عبدالله بن سبأ اسطورة تاریخیة: ----- ۴۱

الفرضية الثالثة: التشيّع فارسی المنشأ ۴۳
اشارة ۴۳
شهادة المستشرقين على أنّ التشيّع عربی المبدأ ۴۴
الفرضية الرابعة: التشيّع فارسی المنحی ۴۵
الفرضيه الخامسة: الشيعة ويوم الجمل ۴۷
الفرضية السادسة: الشيعة ويوم صفين ۴۸
الفرضية السابعة: الشّيعة والبويهيون ۴۸
الفرضية الثامنة: الشيعة والصفّويون ۴۹
الفصل الثانی: الأئمّة الإثنا عشر ۵۱
اشارة ۵۱
إلامام الأوّل: «أميرالمؤمنين على بن أبی طالب ۷» ۵۲
اشارة ۵۲
تنصيب على (ع) للإمامة ۵۲
شذرات من فضائله ۵۴
الإمام الثانی: «أبو محمد الحسن بن على المجتبی ۸» ۵۵
اشارة ۵۵
شهادته ودفنه (ع): ۵۶
الإمام الثالث: «أبوعبدالله الحسين بن على ۸ سيدالشهداءِ» ۵۷
الإمام الرابع: «على بن الحسين بن على زين العابدين (ع)» ۶۰
الإمام الخامس: «أبوجعفر محمد بن على الباقر ۸» ۶۱
الإمام السادس: «أبوعبدالله جعفر بن‌محمّدالصادق ۸» ۶۲
الإمام السابع: «أبوالحسن موسی بن جعفرالكاظم ۸» ۶۵
الإمام الثامن: «أبوالحسن على بن موسی الرّضا ۸» ۶۶
الإمام التاسع: «أبوجعفر محمد بن على الجواد ۸» ۶۸

الإمام العاشر: «أبوالحسن على بن محمّد الهادى ٨» ----- ۶۹
الإمام الحادى عشر: «أبومحمد الحسن بن على العسكرى ٨» ----- ۷۰
الإمام الثانى عشر: «المهدى بن الحسن المنتظر [» ----- ۷۱
اشارة ----- ۷۱
أسئلة مهمّة حول المهدى (عج) ----- ۷۳
السؤال الأوّل: كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟! ----- ۷۳
السؤال الثانى: لماذا غاب المهدى [؟! ----- ۷۶
السؤال الثالث: الإمام المهدى [وطول عمره؟! ----- ۷۶
السؤال الرابع: ما هى علائم ظهوره؟! ----- ۷۷
الفصل الثالث: دورالشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية ----- ۷۹
تمهيد: ----- ۷۹
بلدان الشيعة وأماكن تواجدهم ----- ۹۳
الفصل الرابع: مع الشيعة الإمامية فى عقائدهم ----- ۹۵
تمهيد: ----- ۹۵
الفرق بين الشيعة الإمامية والمعتزلة ----- ۹۷
الفرق بين الشيعة الإمامية والأشاعرة ----- ۹۹
الفرق بين الشيعة الإمامية وسائِر الفرق ----- ۱۰۲
المسألة الاولى: «وجوب تنصيبالإمامعلى اللهسبحانه» ----- ۱۰۲
المسألة الثانية: «عصمة الإمام» ----- ۱۰۵
اشارة ----- ۱۰۵
حقيقة العصمة ----- ۱۰۵
«الدليل على لزوم عصمة الإمام بعد النبى (ص)» ----- ۱۰۶
ما هو المراد من الظالم؟ ----- ۱۰۸
العصمة فى القول والرأى ----- ۱۰۹

المسألة الثالثة: «الإمام المنتظر [» ۱۱۰
المسألة الرابعة: التقیة ۱۱۰
اشارة ۱۱۰
«غایتها» ۱۱۱
«دلیلها فی القرآن والسنّة» ۱۱۲
«الظروف العصیبة الّتی مرّت بها الشیعة» ۱۱۳
اشارة ۱۱۳
حدّ التقیة ۱۱۴
«التقیة المحرّمة» ۱۱۴
المسألة الخامسة: «البداء عند الشیعة الإمامیة» ۱۱۵
اشارة ۱۱۵
البداء فی مقام الثبوت ۱۱۷
الأثر التربوی للإعتقاد فی البداء: ۱۱۹
«البداء فی مقام الإثبات» ۱۱۹
«تلمیحات للبداء فی الذکر الحکیم:» ۱۲۰
اشارة ۱۲۰
تتمه البحث ۱۲۱
الأمر الأول ۱۲۱
الأمرالثانی: ۱۲۲
المسألة السادسة: «الرجعة فی الکتاب والسّنة» ۱۲۲
المسألة السابعة: زواج المتعة ۱۲۴
المسألة الثامنة: متعة الحجّ ۱۲۶
المسألة التاسعة: مسح الأرجل فی الوضوء ۱۲۷
المسألة العاشرة: السجود علی الأرض ۱۲۸

المسألة الحادية عشرة: عدالة الصحابة كلّهم! ----- ۱۳۰
اشارة ----- ۱۳۰
الصحابة فى القرآن الكريم ----- ۱۳۲
المسألة الثانية عشرة: فى عالمية رسالة النبى ۹ و خاتميتها ----- ۱۳۴
اشارة ----- ۱۳۴
الخاتمية فى الذكر الحكيم ----- ۱۳۵
الخاتمية فى الأحاديث النبوية ----- ۱۳۷
الخاتمية فى أحاديث العترة الطاهرة ----- ۱۳۸
أسئِلَة حول الخاتمية ----- ۱۳۸
المرونة التشريع الإسلامى: ----- ۱۴۴
الشيعة والخاتمية: ----- ۱۴۷
۱- كتاب على (ع) وإملاء رسول الله (ص) ----- ۱۴۷
ما هو مصدر روايات أهل البيت؟ ----- ۱۴۹
الفصل الخامس: «رؤية الله» فى ضوء الكتاب ----- ۱۵۳
والسّنة والعقل ----- ۱۵۳
«الرؤية بالأبصار لا بالقلب ولا بالرؤيا» ----- ۱۵۴
«الرؤية فى كلمات الإمام على ۷» ----- ۱۵۵
«الرؤية فى منطق العلم والعقل» ----- ۱۵۶
«محاولة يائسة فى تجويز الرؤية» ----- ۱۵۷
موقف الذكر الحكيم من أمر الرؤية: ----- ۱۵۸
دراسة أدّلة النافين ----- ۱۶۰
شبهات المخالفين ----- ۱۶۳
الشبهة الاولى: ----- ۱۶۳
الشبهة الثانية: ----- ۱۶۴

رؤية الله فی الذكر الحكيم: «دراسة أدلة المثبتين» ۱۶۵
«خمس آيات على مائدة التفسير» ۱۶۶
رؤية الله فی الأحاديث النبوية ۱۷۱
الرؤية القلبية ۱۷۲
تكفير «إبن باز» لمن لايقول بالرؤية ۱۷۳
تحليل هذه الفتيا: ۱۷۳
الخاتمة ۱۷۵
تعريف مركز ۱۷۷

تاريخ الشيعه و عقيدتهم

اشارة

سرشناسه : قائمی، آفرین خلاصه کننده.

عنوان قراردادی : اضواء علی عقائدالشیعه‌الامامیه و تاریخهم. برگزیده.

عنوان و نـام پدیـدآور : تاریخ‌الشـیعه و عقیـدتهم : تلخیص من اضواء علی عقائدالشـیعه‌الامامیه و تـاریخهم/تـالیف جعفر السـبحانی ؛ الملخص آفرین القائمی.

مشخصات نشر : تهران: مشعر، ۱۳۸۷.

مشخصات ظاهری : ۱۷۱ ص.

شابک : ۱۲۰۰۰ ریال:۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۱۵۵-۷

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : شیعه امامیه -- عقاید.

موضوع : ائمه اثناعشر -- سرگذشتنامه.

موضوع : شیعه -- تاریخ.

موضوع : کلام شیعه -- امامیه.

شناسه افزوده : سبحانی‌تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ - -- اضواء علی عقائدالشیعه‌الامامیه و تاریخهم. برگزیده.

رده بندی کنگره : BP۲۱۱/۵/س۱۸الف۶۳۰۱۷ ۱۳۸۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۱۷۲

شماره کتابشناسی ملی : ۱۳۳۸۴۱۸

ص: ۱

المقدّمة

اشارة

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

سمات العقیدة الإسلامیة

للعقیدة الإسـلامیة صـفات متعدّدة؛ منها: سـهولة فهمها وتعلّمها؛ لأنّها عقیدة شاملة لاتختص بالفلاسـفة والمتکلّمین والمفکرین بالرغم من عمقها، إلّا أنّ ذلک لایعنی سـذاجتها وابتـذالها وعـدم خضوعها للبراهین العقلیـة، فللعقیـدة براهینها الواضـحة التی یمکن أن یقف علیهـا کـلّ من درسـها وإنّ من العوامـل التی ساعـدت علی سـرعة انتشار الإسـلام فی مختلف الحضارات وتغلغله بین الأوساط اتّصافه بسـهولة العقیـدة ویسـرالتکلیف ومن المعلوم أنّ الإذعان بشـیءٍ متوقّف علی ثبوت مقدّمات بدیهیة أو نظریة منتهیة إلیه حتّی یسـتتبعها الیقین

ص: ۶

والإذعـان واطمئنان القلب ورسوخ الفكرة فى القلب والنفس. وهـذا هو الـذى يفرض علينا أن نسـتجيب للعقل، باعتباره العمود الفقرى للعقائد التى يبتنى عليها صرح النبوّة المحمدية(ص)، ولذلك نرى أنّ الكتاب العزيز يثبت هذا الأصل بدلالة العقل وإرشاده (۱). وهذا يفرض علينا أن نفتح قلوبنا لنداء العقل ودعوته.

إنّ رفض العقل فى مجال البرهنة على العقيدة- من قبل بعض الفرق- صار سـبباً لتغلغل الخرافة فى عقائد كثير من الطوائف الإسـلامية، وعلى أثر ذلـك دخلت أخبـار التجسـيم والتشبيه فى الصـحاح والمسانيـد عن طريق الأحبار والرهبان الـذّين تظاهروا بالإسـلام وأبطنوا اليهودية والنصرانية وخدعوا عقول المسلمين، فحشروا عقائدهم الخرافية بين المحدّثين والسذّج من الناس الذين اغترّوا بإسلامهم.

و ليس معنى ذلك أنّ المرجع الوحيد فى العقيدة هوالعقل دون الشرع، بل إنّ اللبنات الأوّلية لصرح العقيدة الإسلامية يجب أن

۱- انظر: الأنعام: ۱۰۳ والأعراف: ۱۴۳ وآل عمران: ۱۹۰ والأنبياء: ۲۲ والمؤمنون: والإسراء: ۴۲ و ...

ص: ۷

تكون خاضعة للبرهان، وأمّا الأمور الفرعية فلا مانع أنتثبت بالنقل بشرطين:

الأول: أن لاتناقض حكم العقل،

و الثاني: ثبوت صدورها عن الشارع،

فعندما نثبت بحكم العقل نبوّة النبى الأكرم(ص) يكون كلّ ما جاء به النبى(ص) حجة فى العقائد والأحكام، لكن بشرط الاطمئنان بصدوره عن النبى الأكرم(ص).

و لقد ركّز هذا الكتاب على بيان المشتركات التى تجمع بين الطائفتين(السنّة والشّيعة) على صعيد العقيدة والشريعة والفكر، إلى جانب بيان الفوارق التى ساقها إليهم الدليل والبرهان، هذا فى الوقت الذى نذعن فيه لما قاله رائدنا السيد شرفالدين العاملى(رحمة الله) حينما خاطب علماء السنّة بقوله: مايجمعنا؛ أكثر ممّا يفرّقنا.

و تبعه الشاعر المخلق محمد حسن عبدالغنى المصرى، شاعرالأهرام لمّا قال:

إنّا لتجمعنا العقيدة أُمّةً وى-- ضمّنا دين الهدى أتباعاً

و يؤلّف الاسلامُ بين قلوبنا مهما ذهبنا فى الهوى أشياعاً

ص: ۸

و فى الختام نرجو من الله سبحانه أن يكون هذاالكتاب مساهمة متواضعة فى سبيل تقريب الخطى بين المسلمين وتوثيق أواصر الأخوة وتعزير التعاون المشترك بينهم كى يكونوا صفّاً واحداً أمام أعدائهم، إنّه على ذلك لقدير وبالإجابة جدير.

ص: ۹

الفصل الاوّل: الشیعهٔ فی موکب التاریخ

مبدأ التشیّع وتاریخ نشأته

التشیّع یظهر بأوضح صورهٔ من خلال الالتفاف والمشایعهٔ للوصی الذی اختاره رسول الله(ص) خلیفهٔ له بأمرالله تعالی، فإذا اعتبرنا أنّ التشیّع یرتکز أساساً علی استمرار القیادهٔ بالوصی، فلانجد له تاریخاً سوی تاریخ الإسلام، والنصوص الواردهٔ عن رسول الله(ص) تدلّ وبوضوح علی أنّ الإستجابهٔ اللاحقهٔ استمرار حقیقی لما سبقها فی عهد رسول الله(ص)، وإذا کان کذلک فإنّ جمیع من استجابوا لرسول الله(ص) وانقادوا له انقیاداً حقیقیاً یعدّون بلاشک روّاد التشیّع الأوائل وحاملی بذوره؛ فالشیعهٔ هم

ص: ۱۰

المسلمون من المهاجرین والأنصار ومن تبعهم بإحسانٍ فی الأجیال اللاحقهٔ، من الذین بقوا علی ما کانوا علیه فی عصر الرسول فی أمر القیادهٔ، ولم یغیّروه ولم‌یتعدّوا عنه إلی غیره ولم‌یأخذوا بآرائهم الخاصّهٔ فی مقابل النصوص، وصاروا بذلک المصداق الأبرز لقوله سبحانه:(یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیِ اللَّهِ ورَسُولِهِ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ) (۱)، ففزعوا فی الأصول والفروع إلی علی(ع) وعترته الطاهرهٔ(علیهم السلام)، وانحازوا عن الطائفهٔ الأخری من الذین لم یتعبّدوا بنصوص الخلافهٔ والولایهٔ وزعامهٔ العترهٔ، حیث ترکوا النصوص وأخذوا بآرائهم.

أخرج ابن عساکر عن جابربن‌عبدالله قال: کنّا عندالنبی صلّی الله علیه] وآله [وسلّم فأقبل علی](ع) [فقال النبی صلّی‌الله علیه] وآله [و سلّم

«و الذی نفسی بیده إنّ هذا وشیعته لهم الفائزون یوم القیامهٔ»

ونزلت(إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِکَ هُمْ خَیْرُ الْبَرِیَّهِٔ) (۲) فکان أصحاب النبی صلّی الله علیه] و آله [و سلّم إذا أقبل علی](ع) [قالوا: جاء خیر البریه. (۳)

۱- حجرات: ۱.

۲- البیّنهٔ: ۷.

۳- الدرّ المنثور للسیوطی: ۶/ ۵۸۹. آیهٔ ۷: بیّنهٔ ومثلهما عن عائشهٔ و ...

ص: ۱۱

و روى ابن حجر فى صواعقه عن امّ سلمة: كانت ليلتى، وكان النبى عندى فأتته فاطمة فتبعها على- رضى الله عنهما- فقال النبى: يا على أنت وأصحابك فى الجنّة، أنت وشيعتك فى الجنّة (۱).

و روى أحمد فى المناقب: أنّه قال لعلى: أما ترضى أنّك معى فى الجنّة والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا. [ومثله] روى الطبرانى (۲).

و روى ابن حجر: أنّه مرّ على على جمع .... فقال(ع): شيعتنا هم العارفون بالله العاملون بأمرالله (۳).

و هذه النصوص المتظافرة الغنية عن ملاحظة أسنادها تعرب عن كون على(ع) متميّزاً بين أصحاب النبى بأنّ له شيعة وأتباعاً ولهم مواصفات وصفات كانوا مشهورين بها فى حياة النبى وبعدها.

فبعد هذه النصوص لايصحّ للباحث أن يلتجأ إلى فروض ظنّية أو وهمية فى تحديد تكوّن الشيعة وظهورها.

۱- الصواعق: ۱۶۱ ط قاهره. وأيضاً ۱۵۴.

۲- الصواعق: ۱۶۱.

۳- المصدر: ۱۵۴.

ص: ۱۲

الشیعة فی کلمات المؤرخین وأصحاب الفرق

قد غلب استعمال لفظ الشیعة بعد عصر الرسول(ص) تبعاً له فیمن یوالی علیاً وأهل بیته ویعتقد بإمامته ووصایته، ویظهر ذلک من خلال کلمات المؤرّخین وأصحاب المقالات والتّی نشیر إلی بعضها:

– روی المسعودی فی حوادث وفاة النبی(ص): أنّ الإمام علیاً أقام ومن معه من شیعته فی منزله بعد أن تمّت البیعة أبی بکر. (۱)– وقال محمد بن أحمد بن خالدالبرقی(ت/ ۲۷۴ ه.(: إنّ أصحاب علی ینقسمون إلی الأصحاب، ثم الأصفیاء، ثمّ الأولیاء، ثم شرطة الخمیس ... ومن الأصفیاء سلمان الفارسی والمقداد وأبوذر وعمّار وأبولیلی وشبیر وأبوسنان وأبوعمرة وأبوسعید الخدری وأبوبرزة وجابربن عبدالله والبراءبن‌عازب وطرفة الأزری. (۲)– وقال النوبختی(ت ۳۱۳ ه. ق): إنّ أوّل فرق الشیعة وهم فرقة علی بن أبی طالب، المسمّون شیعة علی فی زمان النبی صلّی الله علیه] و آله [و سلّم وبعده، معروفون بانقطاعهم إلیه والقول بإمامته. (۳)

۱– الوصیّة للمسعودی: ۱۲۱ ط نجف.

۲– الرجال للبرقی: ۳(ط. تهران)، ولاحظ فهرست ابن الندیم: ۲۶۳ ط. القاهرة وعبارته قریبة من عبارة البرقی.

۳– فرق الشیعة: ۱۵.

ص: ۱۳

هـذا كلّه يعرب عن أنّ لفيفاً من الأمّـة في حياة الرّسول وبعـده إلى عصـر الخلفاء وما تلاهم كانوا مشـهورين بالتشيّع لعلى، وأنّ لفظة الشيعة ممّا نطق بها الرّسول وتبعته الأمّة فى ذلك، وما زال التشيع ينمو وينتشر بين المسلمين فى الأقطار المختلفة.

وإذا كان العنصـر المقوّم لإطلاق عبارة الشيعة هومشايعة على(ع) بعد النبى الأكرم(ص) فى الزعامة والوصاية أوّلًا، وفى الفعل والترك ثانياً فإنّه من غير المنطقى محاولة افتراض علّة اجتماعية أوسياسية أو كلامية لتكوّن هذه الفرقة.

روّاد التشيع فى عصر النبى (ص)

وسنقتصر فى حديثنا على إيراد جملة من أولئك الصحابة الذين اشتهروا بالتشيّع ونسبوا له: عبدالله بن عباس، عبدالله بن جعفر، عون بن جعفر، محمـد بن جعفر، من مشاهير بنى هاشم (۱) و أمّا غيرهم: سـلمان الفارسى، المقداد بن الأسود الكندى، أبوذرالغفارى، عماربن ياسـر، حذيفـة بن اليمـان، خزيمـة بن ثـابت، أبوأيوب الأنصـارى مضـيف النبى(ص)، سـعد بن عبـادة، عـدى بن حاتم، بلال بن رباح الحبشى، عثمان بن حنيف، حجر

۱- فى أصل الكتاب ۲۱ نفرات.

ص: ۱۴

ابن عدی، جابر بن عبدالله الأنصاری، محمد بن أبی بکر، زید بن صوحان (۱) و ...

الكتب المؤلّفة حول روّاد التشيّع

۱: صدرالدين السيد علی المدنی الحسينی الشيرازی، توفی(۱۱۲۰ ق) .... «الدرجات الرفيعة فی طبقات الشيعة الإمامية».

قام فی الباب الأوّل بترجمة ۲۳ صحابياً من بنی هاشم لم يفارقوا علياً قط، كما قام فی الباب الثانی بترجمة ۴۶ صحابياً.

۲: ذكر الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء فی كتابه «أصل الشيعة وأصولها» أسماء جماعة من الصحابه كانوا يشايعون علياً فی حلّه وترحاله.

۳: كما أنّ الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين(۱۲۹۰– ۱۳۷۷ ق) قام بجمع أسماء الشيعة فی الصحابة حسب حروف الهجاء، ثم ابتدا بأبی رافع القبطی مولی رسول الله(ص) وختمهم بيزيد بن حوثرة الأنصاری. وأنّه(رحمة الله) قد ذكر ما يربو علی المأتين من أسمائهم.

۴: قام الخطيب المصقع الدكتور الشيخ أحمد الوائلی بذكر

۱– إلی ۵۰ نفرات.

ص: ۱۵

أسماء روّاد التشیّع فی عصر الرسول فی کتابه «هویة التشیع» فجاء بأسماء مائة وثلاثین من خلّص أصحاب الإمام(ع) من الصحابة الکرام ....

۵) «الشخصیات الإسلامیة» للشیخ جعفر السبحانی، طبع منه جزءان. والکتاب باللّغة الفارسیة، ونقله إلی العربیة الشیخ المحقق البارع جعفر الهادی، وطبع ونشر. وأخیراً فإنّ من أراد أن یقف بشکل جلی علی روّاد التشیّع فی کتب الرجال لأهل السنّة .... یرجع إلی أمثال:

۱- الاستیعاب لابن عبدالبرّ(ت ۴۵۶ ه.)

۲- أسد الغابة للجزری(ت ۶۰۶ ه.)

۳- الإصابة لابن حجر(ت ۸۵۲ ه.)

و غیر ذلک من امّهات کتب الرّجال المعروفة.

الشیعة فی العصرین: الأموی والعباسی

الشیعة فی العصر الأموی

بعد أن لبّی الإمام علی(ع) دعوة ربّه فی لیلة الحادی والعشرون من رمضان علی ید أشقی الأوّلین والآخرین بویع بالخلافة ولده الامام الحسن(ع)، وکان أوّل من بایعه قیس بن

ص: ۱۶

سعـد الأنصاری ثمّ تتابع الناس علی بیعته، بیـد أنّ الأمور لم تسـتقم للإمام الحسن(ع) لجملة من الأسـباب المعروفة، أهمّها تخاذل أهل العراق أوّلًا، وکون الشـیوخ الذین بایعوا علیاً والتفّوا حوله کانوا من عبدة الغنائم والمناصب ولم یکن لهؤلاء نصـیب فی خلافة الحسـن ثانیاً، وإنّ عدداً غیر قلیل ممّن بایع الحسن کانوا من المنافقین، یراسـلون معاویة بالسـمع والطاعة ثالثاً، کما أنّ قسماً من جیشه کانوا من الخوارج أوأبنائهم رابعاً، إلی غیرذلک من الأسباب الّتی دفعت الإمام إلی قبول الصلح مع معاویة.

و قد قام معاویة بتتبع شیعة علی وقتلهم، توالت المجازر تتری بعد معاویة إلی آخر عهد الدولة الأمویة، فلم یکن للشیعة فی تلک الأیام نصـیب سوی القتـل والنفی والحرمـان حتی أنّ بقاء التشـیّع فی هـذه العصور المظلمـة کان معجزة من معاجزالله سـبحانه. وإلیک بعض الوثائق من جرائم معاویة:

رسالة الإمام الحسین(ع) إلی معاویة:

«ألست قاتل حُجر وأصـحابه العابدین؟ إلی أن قال أولست قاتل الحضرمی؟ ... لاتردنّ هذه الامّة فی فتنةٍ، وإنّی أعلم لها فتنة أعظم من إمارتک علیها ... واتّق الله یا معاویة واعلم أنّ لله کتاباً لایغادر

ص: ۱۷

صغیرة ولا ـ کبیرة إلا ـ أحصیها، واعلم أنّ الله لیس بناس لک قتلک بالظنّة وأخذک بالتهمة وإمارتک صبیاً یشرب الشراب ویلعب بالکلاب، ما أراک إلا

قدأوبقت نفسک وأهلکت دینک وأضعت الرعیة. والسّلام» (۱)

رسالة الإمام محمّد بن علی الباقر(ع) لأحد أصحابه، حیث قال: إنّ رسول الله(ص) قبض وقد أخبر أنّا أولی الناس ... فنکثت بیعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم یزل صاحب الأمر فی صعود کئود حتّی قُتل، فبویع الحسن(ع) ابنه وعوهد، ثمّ غُدِر به .... فوادع معاویة وحقن دمه ودماء أهل بیته .... ثمّ بایع الحسین(ع) من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غَدَروا به وخرجوا علیه وبیعته فی أعناقهم وقتلوه. ثمّ لم نزل- أهل البیت(علیهم السلام) نستذلّ ونستضام ونُقْصی ونُمتهَنَ نُحرِم ونُقْتل ونَخاف ولانأمن علی دمائنا ودماء أولیائنا ....

و رووا عنّا مالم نَقُله ولم نَفْعله لیبغّضونا إلی النّاس، وکان عِظَم ذلک وکبره زمن معاویة بعد موت الحسن(ع)، فقتلت شیعتنا بکلّ بلدة وقطعت الأیدی والأرجل علی الظِّنَة، وکان مَنْ یذکر بحبّنا والإنقطاع إلینا سجن أو نهب ماله أو هدمت

۱- الإمامة والسیاسة: ۱/ ۱۶۴، بحارالأنوار: ۴۴/ ۲۱۴ ۲۱۲.

ص: ۱۸

داره، ثمّ لم یزل البلاء یشتدّ ویزداد إلی زمان عبیدالله‌بن زیاد قاتل الحسین(ع) ثم جاء الحجّاج فقتلهم کلّ قتلة ... (۱)»

کان زیاد جمع الناس بالکوفة بباب قصره یحرّضهم علی لعن علی أو البراءة منه، فملأ منهم المسجد والرحبة، فمن أبی ذلک عرضه علی السّیف.» (۲)

بیان معاویة إلی عمّاله:

روی أبوالحسن علی بن محمد أبی السّیف المدائنی فی کتاب «الأحداث»، قال: «کتب معاویة نسخة واحدة إلی عمّاله بعد عام الجماعة!!: «أن برأت الذّمة ممّن روی شیئاً من فضل أبی تراب وأهل بیته» فقامت الخطباء فی کلّ کورة وعلی کلّ منبر یلعنون علیاً ویبرأون منه ویقعون فیه وفی أهل بیته، فلم یکن بلد أشدّ بلاءً من العراق ولاسیما الکوفة، فظهر حدیث کثیر موضوع وبهتان منتشر ومضی علی ذلک الفقهاء والقضاة والولاة حتّی انتقلت تلک الأخبار والأحادیث إلی أیدی الدیّانین الذین لایستحلّون الکذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم یظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها ولاتدیّنوا بها.

۱- شرح نهج البلاغة ابن أبی الحدید: ۱۱/ ۴۴- ۴۳.

۲- مروج الذهب: ۳/ ۲۶.

ص: ۱۹

و قال ابن أبی الحدیـد: فلم یزل الأمر کـذلک حتّی مات الحسن بن علی(علیهما السـلام)، فازداد البلاء والفتنـة، فلم یبق أحـد من هذا القبیل [الشـیعة] إلّا وهو خائف علی دمه أو طریـد فی الأرض. ثم تفاقم الأمر بعـد قتل الحسـین(ع) ووَلیَ عبدالملک بن مروان، فاشـتدّ علی الشیعة وولّی علیهم الحجّاج بن یوسف، فتقرّب إلیه أهل النسک والصلاح والدّین ببغض علی(ع) وموالاة أعدائه (۱)!»

ضحایا الغدر الأموی:

۱- حجر بن عدی الکندی سنة ۵۳ ه. ومعه تسعة نفر أصحابه من أهل الکوفة وأربعة من غیرها، قتله معاویة مع أصحابه فی مرج عذراء بصورة بشعة یندی لها الجبین.

۲- عمرو بن الحمق: ذلک الصحابی العظیم الذی وصـفه الإمام الحسـین(ع) سیدالشهداء بأنّه: «أبلت وجهه العبادة»؛ قتله معاویة بعد ما أعطاه الأمان.

۳- مالـک الأشتر: ملک العرب وأحـد أشـرف رجالاتها وأبطالها، کان شـهماً مطاعاً وکان قائـد القوات العلویـة، قتله معاویـة بالسمّ فی مسیره إلی مصر بید أحد عمّاله.

۱- شرح نهج البلاغة ابن أبی الحدید: ۱۱/ ۴۶.

ص: ۲۰

۴- رشید الهجری: کان من تلامیذ الإمام وخواصّه عرض علیه زیادٌ البراءة واللعن، فأبی، فقطع یدیه ورجلیه ولسانه وصَلَبه خنقاً فی عنقه.

۵- جویریة بن مسهر العبدی: أخذه زیاد وقطع یدیه ورجلیه وصَلَبه علی جِذع نخلة.

۶- قنبر مولی أمیرالمؤمنین(ع): ... أن الحجّاج أمر به، فذبح کماتذبح الشاة.

۷- کمیل‌بن‌زیاد: طلبه الحجاج فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فاستسلم للحجاج، فلمّا رآهُ قال: إضربوا عنقه.

۸- سعید بن جبیر: تابعی معروف بالعفّة والزهد والعبادة، وکان یصلّی فی المحراب خلف الإمام زین العابدین(ع)، فلمّا رآه الحجاج أخذ ثم ضربت عنقه.

الشیعة فی العصر العباسی

۱- کان أوّل من تولّی منهم أبوالعباس السفّاح: بویع سنة ۱۳۲ ه. ومات سنة ۱۳۶ ه. وهو وإن لم یتعرّض للعلویّین لکنّه تنکّر لهم ولشیعتهم.

۲- ثم جاء بعده أبوجعفرالمنصور(۱۵۸- ۱۳۶ ه.): أنّه أسرف کثیراً فی الظلم القوة والإجرام بشکل ملفت للأنظار.

ص: ۲۱

وليت شعرى أين كان المؤرّخون وأصحاب الكلمات الصادقة المنصفة من هذه المواقف المخزية التى تقشعرّ لها الأبدان وهم يتحدّثون عن هذا الرجل الذى ما آلوا يشيدون بذكره ويمجّدون بأعماله، وهلّا تأمّل القرّاء فى سيرة هذا الرجل ليدركوا ذلك الخطأ الكبير. أجل، لقد أسرف هذا الرجل فى القتل كثيراً، وكان للعلويين النصيب الأكبر وحصّة الأسد من هذا الظلم الكبير.

۳- ثمّ ولى بعده المهدى ولدالمنصور وبقى فى الحكم من سنة ۱۵۸ ه. إلى سنة ۱۶۹ ه.، ويكفى فى الإشارة إلى ظلمه للعلويين أنّه أخذ على بن العبّاس بن الحسن بن على بن أبى طالب فسجنه، فدسَّ إليه السمّ فتفسخ لحمه وتباينت أعضاؤه.

۴- ولما هلك المهدى بويع ولده الهادى وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر.

۵- ثمّ تولّى بعده الرشيد سنة ۱۷۰ ه. ومات ۱۹۳ ه. الذى كان له سجلّ أسود فى تعامله مع الشيعة، تبلورت أوضح صوره فيما لاقاه منه الإمام موسى بن جعفر الكاظم(ع).

۶- ثمّ جاء بعده ابنه الأمين(۱۹۷- ۱۹۳ ه.) فتولّى الحكم أربع سنين وأشهراً. يقول أبوالفرج: كانت سيرة الأمين فى أمر آلِ أبى طالب خلاف من تقدّم لتشاغله بما كان فيه من اللهو ثمّ

ص: ۲۲

الحرب بینه وبین المأمون حتّی قتل، فلم یحدث علی أحدٍ منهم فی أیامه حدث.

۷- وتولّی الحکم بعده المأمون(۲۱۰- ۱۹۷ ه.) وکان من أقوی الحکام العباسیین بعد أبیه الرشید.

۸- مات المأمون سنة ۲۱۰ ه. وجاء إلی الحکم ابنه المعتصم.

۹- ثم تولّی الحکم بعد الواثق الذی قام بسجن الإمام محمد ابن علی الجواد(ع) ودسّ له السمّ بمکیدة.

۱۰- وولی الحکم بعد الواثق، المتوکل: کان المتوکل شدیدة الوطأة علی آل أبی طالب غلیظاً فی جماعتهم، شدید الغیظ والحقد علیهم وسوء الظنّ والتهمة لهم، وکان من ذلک أن کرب (۱) قبر الحسین(ع) وعفّی آثاره، ووضع علی سائر الطرق مسالح له لایجدون أحداً زاره إلّا أتوه به وقتله أو أنهکه عقوبة. واستعمل علی المدینة ومکة عمر بن الفرج، فمنع آل أبی طالب من التعرّض لمسألة النّاس ومنع النّاس من البرّ بهم حتّی کان القمیص یکون بین جماعة من العلویّات یصلّین فیه واحدة بعد واحدة.

۱- الکرب: إثارة الأرض للزرع.

ص: ۲۳

۱۱- وولی بعده المنتصر ابنه، وظهر منه المیل إلی أهل البیت وخالف أباه، فلم یجر منه علی أحد منهم قتل أو حبس أو مکروه فیما بلغنا، وأوّل ماأحدثه لمّا ولی الخلافة عزل صالح بن علی عن المدینة، وبعث علی بن الحسین مکانه.

۱۲- وقام بعده المستعین بالأمر، فنقض کلّ ما غزله المنتصر من البرّ والإحسان، ومن جرائمه أنّه قتل یحیی بن عمر بن الحسین(ع)، وأدخل الأساری من أصحاب یحیی إلی بغداد، وکانوا یساقون وهم حفاة سوقاً عنیفاً، فمن تأخّر ضربت عنقه.

و قد وثّقت هذه الجرائم فی کتب التاریخ والأدب، من ذلک القصائد التالیة:

۱- تائیة دعبل الخزاعی الشهید عام ۲۴۶ ه.

۲- میمیة الأمیر أبی فراس الحمدانی ۳۲۰- ۳۵۷ ه.

۳- جیمیة ابن الرومی التی رثی بها یحیی بن عمر بن الحسین بن زید.

نعم قد اقترن تاریخ الشیعة بأنواع الظلم والنکال والقتل والتشرید بحیث لمیر الأمویون ولاالعباسیون ولا الملوک الغزانوة ولاالسلاجقة ولا من أتی بعدهم أیّة حرمة لنفوسهم وأعراضهم وعلومهم ومکتباتهم.

ص: ۲۴

هذا هو طغرل بیک أول ملک من ملوک السلاجقة ورد بغداد سنة ۴۴۷ ه. وشنّ علی الشیعة حملة شعواء، وأمر بإحراق مکتبة الشیعة الّتی أنشأها أبونصر سابور بن أردشیر وزیر بهاء الدولة البویهی فی محلّة بین السورین فی الکرخ سنة ۳۸۱ علی مثال بیت الحکمة الذی بناه هارونالرّشید، وکانت من الأهمیة العلمیة بمکان حیث جمع فیما هذا الوزیر ماتفرّق من کتب فارس والعراق واستکتب تآلیف أهل الهند والصین والروم، کما قاله محمد کردعلی، ونافت الکتب علی عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهام الأسفار، واکثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلّفین. وکان من جملتها مصاحف بخطّ ابن مقلة علی ما ذکره ابن أثیر.

و توسّعت الفتنة حتّی اتّهجت إلی شیخ الطائفة وأصحابه فأحرقوا کتبه وکرسیه الذی کان یجلس علیه للکلام، وهرب أبوجعفر الطوسی ونهبت داره.

و أخیراً فلعلّ القارئ الکریم إِذا تأمّل بتدبّر فإنّه سیجد بوضوح أنّه قد تظافرت قوی الکفر والفسق علی إهلاک الشیعة وقطع جذورهم، ومع ذلک قد کانت لهم دول ودویلات ومعاهد وکلّیات وبُلدان وحضارات وأعلام ومفاخر وعباقرة وفلاسفة

ص: ۲۵

وفقهاء ومحدّثون ووزراء وسياسيون، وهم يؤلّفون اليوم خُمس المسلمين أو رُبعهم، وقد قال سبحانه:(إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) (۱)

فرضيات وهمية لنشأة التشيع

اشارة

أنه لافصل هنابين النشأتين: نشأة الإسلام ونشأة التشيع وأنّهما وجهان لعملة واحدة، إلّا أنّ هناك جماعة من المؤرّخين وكتّاب المقالات ممّن قادهم الوهم وسوء الفهم إلى اعتبار التشيّع أمراً حادثاً وطارئاً على المجتمع الإسلامى، فأخذوا يفتّشون عن مبدأه ومصدره، وأشدّ تلك الظّنون عدوانية فيه ما تلوكه أشداق بعض المتقدّمين والمتأخّرين هو كونه وليد «عبدالله‌بن‌سبأ» ذلك الرجل اليهودى، الذى بزعمهم طاف الشرق والغرب وأفسدالأمور على الخلفاء والمسلمين، وألّب الصحابة والتابعين على عثمان، فقتل فى عقر داره، ثمّ دعا إلى على(ع) بالإمامة والوصاية وإلى النبى بالرجعة وكوّن مذهباً باسم الشيعة!

و سوف نأتى على ذكر كل هذه الفرضية وغيرها من الفرضيات واحدة بعد الأُخرى مع رعاية التسلسل الزمنى:

۱- الأنفال: ۶۵.

ص: ۲۶

الفرضية الأولى: الشيعة ويوم السقيفة!

قال الطبرى: «اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبابكر، فأتاهم ومعه عمر وأبوعبيدة بن الجرّاح، فقال: ما هذا؟! فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير!

فقال أبوبكر: منّا الامراء ومنكم الوزراء- إلى أن قال- فبايعه عمر وبايعه الناس، فقالت الأنصار- أو بعض الأنصار- لانبايع إلّا علياً.»

و قال اليعقوبى فى تاريخه: ومالوا مع على بن أبى طالب، منهم العباس بن عبدالمطلب والفضل بن عباس والزبيربن العوام وخالد بن سعيد بن العاص والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسى وأبوذرالغفارى وعمّار بن ياسر والبراء بن عازب وأبىّ بن كعب. وروى الزبير بن بكار فى الموفّقيات: إنّ عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار كانوا لايشكون أنّ علياً هو صاحب الأمر.

من هنا إعتقد البعض أنّ مبدأ التشيّع ونشأته كان فى تلك اللحظات الحرجة فى تاريخ الإسلام، متناسين أنّ ما اعتمدوه فى بناء تصوّراتهم ما ينقضها ويثبت بطلانها. وممّا يؤكد ذلك ويقوى أركانه ما نقلته جميع مصادر الحديث المختلفة من نداءات رسول‌الله(ص) وتوصياته بحق على وعترته وشيعته فى اكثر من مناسبة ومكان و ...

ص: ۲۷

الفرضية الثانية: التشيّع صنيع عبدالله بن سبأ

اشارة

لنقرأ ما كتبه الطبرى حول هذا الوهم المصطنع؛ قال: «إنّ يهودياً باسم عبدالله بن سبأ المْكنّى بابن السوداء فى صنعاء أظهر الإسلام فى عصر عثمان واندسّ بين المسلمين مبشّراً بأنّ للنّبى الأكرم(ص) رجعة كما أنّ لعيسى بن مريم رجعة، وأنّ علياً خاتم الأوصياء كما أنّ محمداً(ص) خاتم الأنبياء، وأنّ عثمان غاصب حقّ هذا الوصى وظالمه فيجب مناهضته لإرجاع الحقّ إلى أهله، فمال إليه وتبعه على ذلك جماعات من المسلمين، فيهم الصحابى الكبير والتابعى الصالح. فجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم، فنتج عن ذلك قدومهم إلى المدينة وحصرهم عثمان فى داره حتى قتل فيما كلّ ذلك كان بقيادة السبأيين ومباشرتهم» (۱) هذا هو الذى ذكره الطبرى، وقد أخذه من جاء بعده من المؤرّخين وكتّاب المقالات حقيقة مسلّمة، فصارت الشيعة وليدة السبأية فى زعم هؤلاء عبرالقرون والأجيال، ومن الّذين وقعوا فى هذا الخطأ الفاحش دون فحص وتأمل فى حقايق الأمور:

۱- تاريخ الطبرى: ۳/ ۳۷۸.

ص: ۲۸

۱- ابن الأثير(ت ۶۳۰ ه.) ...

۲- ابن کثيرالشامی(ت ۷۷۴ ه.) فی «البداية والنهاية»

۳- ابن خلدون(ت ۸۰۸ ه.) فی تاريخه «المبتدأ والخبر».

۴- محمد رشيد رضا مؤسسة مجلة المنار(ت ۱۳۵۴ ه.) ذکره فی کتابه «السّنة والشيعة».

۵- أحمد أمين(ت ۱۳۷۲ ه.) فی کتابه «فجرالإسلام» عام انتشاره(۱۹۵۲ م).

و قد ردّ عليه أعلام العصر بأنواع الردود، فألّف الشيخ المصلح کاشف الغطاء «أصل الشّيعة وأصولها» ردّاً عليه کما ردّ عليه العلّامة الشيخ عبدالله السبيتی بکتاب أسماه «تحت راية الحق».

۶- فريد وجدی مؤلّف دائرة المعارف(ت ۱۳۷۰ ه.).

۷- حسن إبراهيم حسن، وذکره فی کتابه «تاريخ الإسلام السّياسی».

و أمّا المستشرقون المتطفّلون علی موائد المسلمين فحدّث عنهم ولاحرج، فمن أراد الوقوف علی کلماتهم فليرجع إلی ما ألّفه الباحث الکبير السّيد مرتضی العسکری فی ذلک المجال (۱).

۱- عبدالله بن سبأ: ۱/ ۴۶- ۵۰.

ص: ۲۹

نظر المحقّقين في الموضوع:

۱- إنّ ما جاء في تاريخ الطبرى من القصّة على وجه لايصحّ نسبته إلا إلى عفاريت الأساطير ومردة الجنّ؛ إذ كيف يصح الإنسان أن يصدّق أنّ يهودياً جاء من صنعاء وأسلم في عصر عثمان واستطاع أن يغرى كبار الصّحابة والتابعين ويخدعهم ويطوف في البلاد ناشراً دعواه، بل واستطاع أن يكوّن خلايا ضدّ عثمان ويستقدمهم على المدينة ويؤلّبهم على الخلافة الإسلامية فيها جموا داره ويقتلوه بمرأى ومسمع من الصحابة العدول ومن تبعهم بإحسان؟! هذا شيء لا يحتمله العقل وإن وطّن على قبول العجائب والغرائب.

بل إنّ هذه القصّة تمسّ كرامة المسلمين والصحابة والتابعين وتصوّرهم أمّة ساذجة يغترّون بفكر يهودى وفيهم السادة والقادة والعلماء والمفكّرون!

۲- ... يقول العلّامة الأميني: «لو كان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاح الفتن وشقّ عصا المسلمين وقدعلم به وبعبثه أمراء الأمّة وساستها في البلاد وانتهى أمره إلى خليفة الوقت فلماذا لم يقع عليه الطلب ولم يبغله القبض عليه، والأخذ بتلكم الجنايات الخطيرة والتأديب بالضرب والإهانة والزّجّ إلى أعماق

ص: ۳۰

السجون؟! ولا آل أمره إلى الإعدام المريح للأمّة من شرّه وفساده كما وقع ذلك كلّه على الصلحاء الأبرار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؟! ...» (۱) ۳- إنّ رواية الطبری عن أشخاص لايصحّ الاحتجاج بهم:

الف: السری: إنّ «السری» الذی يروی عنه الطبری إنّما هو أحد رجلين:

۱- السری بن إسماعيل الهمدانی الذی كذّبه يحيی بن سعيد وضعّفه غير واحد من الحفّاظ.

۲- السری بن عاصم بن سهل الهمدانی نزيل بغداد، المتوفّی عام ۲۵۸ ه.. كذّبه ابن خراش ووهّاه بن عدی وقال يسرق الحديث و.

فالاسم مشترك بين كذّابين لايهمّنا تعيين أحدهما.

واحتمال كونه السری بن يحيی الثقة غير صحيح؛ لأنّه توفّی عام ۱۶۷ ه. مع أنّ الطبری مواليد عام ۲۳۴ ه، فلا مناص أن يكون السری أحد الرجلين الكذّابين.

ب: شعيب: والمراد منه شعيب بن إبراهيم الكوفی المجهول: قال ابن عدی ليس بمعروف.

ج: سيف بن عمر: قال ابن حيان: قالوا: إنّه كان يضع

۱- الغدير: ۹/ ۲۲۰- ۲۱۹.

ص: ۳۱

الحديث واتّهم بالزندقة. وقال ابن معين: ضعيف الحديث فليس خير منه. وقال السيوطى: وضّاع.

فإذا كان هذا حال السّند فكيف نعتمده فى تحليل نشوء طائفة كبيرة من طوائف المسلمين تؤلّف خُمسهم أو ربعهم، فالاعتماد خداع وضلال لايرتضيه العقل.

عبدالله بن سبأ اسطورة تاريخية:

إنّ القرائن والشواهد والاختلاف الموجود فى حق الرجل ومولده وزمن إسلامه ومحتوى دعوته يشرف المحقّق على القول بأنّ عبدالله بن سبأ أقرب ما يكون إلى الاسطورة منه إلى الواقع، وإنّ خصوم الشّيعه أيام الأمويين والعبّاسيين قد بالغوا فى أمر عبدالله بن سبأ هذا ليشكّكوا فى بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان ووُلاته، من ناحية، وليشنّعوا على على(ع) وشيعته من ناحية اخرى. إنّ الموارد التى يستنتج منها كون ابن سبأ شخصية وهمية خلقها خصوم الشّيعه، ترجع إلى الأمور التالية:

۱- إنّ المؤرّخين الثقات لم‌يشيروا فى مؤلّفاتهم إلى قصّة عبدالله بن سبأ كابن سعد فى طبقاته والبلاذرى فى فتوحاته.

ص: ۳۲

۲- إنّ المصدر الوحيد عنه هو سيف بن عمر، وهو رجل معلوم الكذب ومقطوع بأنّه وضّاع.

۳- إنّ الأمور التی نسبت إلی عبدالله بن سبأ تستلزم معجزات خارقهٔ لاتتأتّی لبشر، کما تستلزم أن یکون المسلمون الذّین خدعهم فی منتهی البلاههٔ والسخف!

۴- عدم وجود تفسیر مقنع لسکوت عثمان وعمّاله عنه مع ضربهم لغیره من المعارضین کمحمدبن أبی حذیفهٔ ومحمد بن أبی بکر وعمّار بن یاسر، وأبیذر الغفاری.

۵- قصّهٔ إحراق علی(ع) إیاه وتعیین السنهٔ التی عرض فیها ابن سبأ للإحراق تخلو منه کتب التاریخ الصحیحهٔ، ولایوجد لها فی هذه الکتب أثر.

۶- عدم وجود أثر لابن سبأ وجماعته فی وقعهٔ صفین وفی حرب النهروان. (۱) و یزید الحقّ وضوحاً أنّنا إذا راجعنا کتب الشیعهٔ نری أنّ أئمتهم وعلمائهم یتبرّأون منه أشدّ التّبرؤ.

قال الکشّی وهو من علماء القرن الرابع: «عبدالله بن سبأ کان یدّعی النبوّهٔ وأنّ علیاً هو الله! فاستتابه ثلاثهٔ أیام فلم

۱- الفتنهٔ الکبری، دکتور طه حسین: ۱۳۴.

ص: ۳۳

یرجع فأحرقه فی النار فی جملهٔ سبعین رجلًا» (۱) و مثله الشیخ الطوسی(۳۸۵ - ۴۶۰ ه.). والعلّامهٔ الحلّی(۶۴۸ - ۷۲۶ ه.) وابن داود(۶۴۷- ۷۰۷ ه.) والشیخ حسن بن زین الدّین(۶۴۸- ۱۰۱۱ ه.) وأمّا ما نقله عنه سیف بن عمر فلیس منه أثر فی تلک الروایات. وأین هذا الأفّاک وزمرته من اولئک الذین لایخالفون الله ورسوله وأولی الأمر ولایتخلّفون عن أوامرهم قید أنملهٔ کالمقداد وسلمان.

الفرضیهٔ الثالثهٔ: التشیّع فارسی المنشأ

اشارهٔ

و هناک فرضیهٔ ثالثهٔ اخترعها المستشرقون لتکوّن مذهب الشیعهٔ فی المجتمع الإسلامی تقول ب- أنّ للمذهب الشیعی نزعهٔ فارسیهٔ؛ لأنّ العرب کانت تدین بالحرّیهٔ والفرس تدین بالملک والوراثهٔ، ولایعرفون معنی الانتخاب ولمّا انتقل النبی إلی دارالبقاء ولم یترک ولداً، قالوا: علی أولی بالخلافهٔ من بعده. وهذا التصوّر مردود لجملهٔ واسعهٔ من البدیهیات، منها:

أوّلًا: أنّ التشیع حسبما عرفت ظهر فی عصر النبی الأکرم(ص)، وروّاد التشیع فی عصر الرسول والوصی کانوا کلّهم

۱- رجال کشی: ۹/ ۸۴.

ص: ۳۴

عرباً، ولم يكن بينهم أىّ فارسى سوى سلمان المحمدى(ص). ثمّ إنّ الفرس لم يكونوا الوحيدين ممّن اعتنقوا هذا المذهب دون غيرهم، بل اعتنقه الأتراك والهنود وغيرهم من العرب.

شهادة المستشرقين على أنّ التشيّع عربى المبدأ

۱- قال الدّكتور أحمد أمين: الذى أرى كما يدلّنا التاريخ أنّ التشيّع لعلى(ع) بدأ قبل دخول الفرس إلى الإسلام.

۲- وقال المستشرق فلهوزن: كان جميع سكان العراق فى عهد معاوية- خصوصاً أهل الكوفة- شيعة، ولم‌يقتصر هذا على الأفراد، بل شمل القبائل ورؤساء العرب.

۳- وقال المستشرق جولد تسيهر: هذا الوهم الشائع مبنى على سوء فهم الحوادث التاريخية، فالحركة العلوية نشأت فى أرض عربيه بحتة.

۴- وأما المستشرق آدم متز فإنّه قال: قد كانت جزيرة العرب شيعة كلّها عدا المدن الكبرى مثل مكة وتهامة وصنعاء، وكان للشيعة غلبة فى بعض المدن. مثل عمان، وهجروصعدة، أمّا إيران فكانت كلّها سنّة ما عدا قم، وكان أهل إصفهان يغالون فى معاوية حتى اعتقد بعض أهلها أنّه نبى مرسل.

ص: ۳۵

۵- یقول الشیخ أبوزهرة: أنّ الفرس تشیّعوا علی أیدی العرب، ولیس التشیّع مخلوقاً لهم، ویضیف: وأمّا فارس وخراسان وما راءهما من بلدان الإسـلام فقد هاجر إلیها کثیرون من علماء الإسلام الّذین کانوا یتشیّعون فراراً بعقیدتهم من الأمویین أوّلًا، ثمّ العباسیین ثانیاً، وأنّ التشیّع کان منتشراً فی هذا البلاد انتشاراً عظیماً قبل سقوط الدولة الأمویة بفرار أتباع زید ومن قبله إلیها.

۶- وقال السـید الأمین: أنّ الفرس الّذین دخلوا الإسلام لم یکونوا شیعة فی أوّل الأمر إلا القلیل، وجلّ علماء السّنة وأجلّائهم من الفرس کالبخاری والترمذی والنسائی وابن ماجة والحاکم النیسابوری والبیهقی وهکذا غیرهم ممّن أتوا فی الطبقة التالیة.

الفرضیة الرابعة: التشیّع فارسی المنحی

والفرق بین هذه الفرضـیة وسابقتها أنّ هذه النظریة وإن کانت تعترف بأنّ التشـیّع عربی المولد والمنشأ ولکنّها تدّعی أنّه اصطبغ بصبغة فارسیة بعد دخول الفرس فی الإسلام، وهذا هو الذی اختاره الدکتور أحمد أمین کما عرفت ولفیف من المستشرقین ک-

ص: ۳۶

«فلهوزن» فيما ذهبوا إليه فى تفسير نشأة التشيع.

و هذا ما يصرّح به الدكتور أحمد أمين فى قوله: أنّ الفكر الفارسى استولى على التشيّع، والمقصود من الاستيلاء هو جعل الخلافة أمراً وراثياً كما كان الأمر كذلك بين الفرس فى عهد ملوك بنى ساسان وغيرهم.

إلّا أنّه يلاحظ عليه: أنّ كون الحكم والملك أمراً وراثياً لم يكن من خصائص الفرس، بل إنّ النظام السائد بين ملوك الحيرة وغسّان وحمير فى العراق والشام واليمن كان هوالوراثة.

كما أنّ المناصب المعروفة لدى قريش من السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام والسدانة كانت أموراً وراثية حتّى أنّ النبى الأكرم(ص) لم يغيّرها، بل إنّه أمضاها كما فى قضية رفعه لمفاتيح البيت إلى بنى‌شيبة وإقرارهم على منصبهم هذا إلى الأبد!، فإلصاق مسألة الوراثة بالفرس دون غيرهم أمرٌ عجيب لا يقرّه العقلاء مع كونها آنذاك فكرة عامة عالمية؟!

إنّ النبوّة والوصاية من الأمور الوارثية فى الشرائع السماوية، لا ـ بمعنى أنّ الوراثة هى الملاك المعيّن، بل بمعنى أنّه سبحانه جعل نورالنبوّة والإمامة فى بيوتات خاصّة، فكان يتوارث نبى نبياً ووصى وصياً يقول سبحانه: «ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم

ص: ۳۷

وجعلنا فی ذریتهما النبوّهٔ والکتاب» (۱).

ثمّ إنّ من زعم أنّ التشیّع من صنع الفرس مبدأ وصبغهٔ فهو جاهل بتاریخ الفرس؛ وذلک لأنّ التسنّن کان هو السائد فیهم إلی أوائل القرن العاشر! حتی غلب علیهم التشیّع فی عصر الصفویین ۹۰۵ ه، نعم کانت مدن ری وقم وکاشان معقل التشیّع، ومع ذلک یقول أبوزهرهٔ: إنّ أکثر أهل فارس إلی الآن من الشیعهٔ، وإنّ الشیعهٔ الأوّلین کانوا من الفرس؟! ...

الفرضيه الخامسهٔ: الشيعهٔ ويوم الجمل

ذکر ابن الندیم فی الفهرست: أنّ علیاً قصد طلحهٔ والزبیر لیقاتلهما حتی یفیئا إلی أمرالله جلّ اسمه، وتسمی من اتّبعه علی ذلک الشیعهٔ ...»

و علی ذلک جری المستشرق «فلهوزن» حیث یقول: بمقتل عثمان انقسم الإسلام إلی فئتین: حزب علی(ع) وحزب معاویهٔ، و «الحزب» یطلق علیه فی العربیهٔ اسم «الشیعهٔ»! فکانت شیعهٔ علی(ع) فی مقابل شیعهٔ معاویهٔ، لکن لمّا تولّی معاویهٔ الملک فی دولهٔ الإسلام أصبح استعمال لفظهٔ «شیعهٔ»

۱- حدید: ۲۶، وأیضاً: بقره: ۱۲۴، النساء: ۵۴.

ص: ۳۸

مقصوداً بها أتباع على(ع)؟!

لكن ما تلونا عليك من النّصوص الدالّـة على وجود التشيّع فى عصر الرسول(ص) وظهوره بشكل جلى بعد وفاته، وهذا كان قبل أن تشُبّ نار الحرب فى البصرة، وهذا دليل على وهن هذا الرأى.

الفرضية السادسة: الشيعة ويوم صفين

زعم بعض المستشرقين (۱) أنّ الشيعة تكوّنت يوم افترق جيش على(ع) فى مسألة التحكيم إلى فرقتين.

لكن الثابت هو أنّ ليس جميع من كان فى جيشه من شيعته بالمعنى المفروض والواقعى للتشيّع، بل أغلب من انخرط فى ذلك الجيش كانوا تابعين له؛ لأنّه خليفة لهم وقد بايعوه على ذلك.

الفرضية السابعة: الشّيعة والبويهيون

تقلّد آل بويه مقاليد الحكم والسلطة من عام ۳۲۰ ه. إلى ۴۴۷ ه.، فكانت لهم السلطة فى العراق وبعض بلاد إيران كفارس وكرمان وبلاد الجبل وهمدان وإصفهان والرىّ، وقد اقصوا عن الحكم فى الأخير بهجوم الغزاونة عليهم عام ۴۲۰ ه.

۱- تاريخ الإماميّة: للدكتور عبدالله فياض: ۳۷.

ص: ۳۹

راج مذهب الشيعة فی عصرهم واستنشق رجالاته نسيم الحرية بعد أن تحمّلوا الظلم والاضطهاد طيلة حكم العباسيين خصوصاً فی عهد المتوكل ومن بعده، غير أنّ تكوّن الشيعة فی أيامهم شیء وكونهم مروّجين ومعاضدين له شیءٌ آخر، ومن السذاجة بمكان الخلط بين الحالين وعدم التمييز بينهما.

الفرضية الثامنة: الشيعة والصفّويون

إنّ الصفويين هم اسرة الشيخ صفی‌الدين العارف المشهور فی أردبيل المتوّفی عام ۷۳۵ ه. فعند ما انقرضت دولة المغول قام أحد أحفاد صفی‌الدين الشاه إسماعيل عام ۹۰۵ ه. بتسلّم مقاليد الحكم والسيطرة علی بلاد فارس.

و استمرّ فی الحكم إلی عام ۹۳۰ ه. ثم ورثه أولاده إلی أن أُقصوا عن الحكم بسيطرة الأفاغنة علی إيران عام ۱۱۳۵ ه. ومن وقف علی أحوالهم ووقف علی تاريخ الشيعة يقف علی أنّ عصرهم كان عصر ازدهار التشيّع، وهو أمر لامراء فيه، وليس هو عصر تكوّن التشيّع، فهذا ما لايقنع به إلا السذج والجهلاء.

فلا مرية من القول بخطأ كل الافتراضات السابقة وعدم

ص: ۴۰

حجّيتها فى محاولـة تثبيت كون التشـيّع ظاهرة طارئـة على الإسـلام، وإنّما هو نفس الإسـلام فى إطار ثبوت القيادة لعلى(ع) بعـد رحلة النبى(ص) بتنصيصه.

و قد شارك الشـيعة جميع المسـلمين فى بناء الحضارة الإسـلامية بجوانبها المختلفة، يتفقون مع جميع الفرق فى أكثر الأصول والفروع وإن اختلفوا معهم فى بعضها كاختلاف بعض الفرق مع بعضها الآخر. وسيوافيك تفصيل عقائدهم فى مبحث خاصّ بإذن الله.

ص: ۴۱

الفصل الثانی: الأئمّة الإثنا عشر

اشارة

تعرف الشیعة الإمامیة بالفرقة الإثنی عشریة، ومبعث هذه التسمیة هو اعتقادهم بإثنی عشر إماماً من بنی هاشم نصّ علیهم رسول الله(ص) کما هو معلوم للجمیع، ثمّ نصّ کلّ إمام علی الإمام الّذی بعده، بشکل یخلو من الشک والإبهام.

لقد تضافر عن رسول الله(ص) أنّه یملک هذه الأمّة إثنا عشر خلیفة کعدد نقباء بنی إسرائیل، وإنّ هذه الروایات مع ما فیها من المواصفات لاتنطبق إلّا علی أئمّة الشّیعة والعترة الطاهرة، فیلزم علینا معرفتهم، کیف وهم أحد الثقلین اللّذین ترکهما الرّسول(ص) قدوة للأمّة ونوراً علی جبین الدّهر.

ومن وقف علی حیاتهم العلمیة والاجتماعیة والسیاسیة یقف

ص: ۴۲

على أنّهم هم المثل الأعلى فى الأخلاق والقمّـة الساقمة فى العلم والعمل والتّقوى والإحاطة بالقرآن والسّـنة، وبهم حفظ الله تعالى دينه وأعزّ رسالته.

إلامام الأوّل: «أميرالمؤمنين على بن أبى طالب ٧»

اشارة

إنّ الإمام على بن أبى طالب أشهر من أن يعرّف، ولقد قام لفيف من السنّة والشيعة بتأليف كتب وموسوعات فى حياته ومناقبه وفضائله وجهاده وعلومه وخطبه وقصار كلماته وسياسـته وحروبه مع الناكثين [الطلحة والزبير وأعوانها] والقاسـطين [المعاوية وأعوانه] والمارقين [الخوارج]، فالأولى لنا الإكتفاء بالميسور فى هذا المجال.

تنصيب على (ع) للإمامة

لاشكّ فى أنّ الـدين الإسـلامى دين عالمى وشـريعة خاتمة، وقد كانت قيادة الأمّة الإسـلامية من شؤون النبى الأكرم(ص) ما دام على قيد الحياة، وطبع الحال يقتضى أن يوكل مقام القيادة بعده إلى أفضل أفراد الأمّة وأكملهم.
إنّ فى هذا المسألة وهى أنّ منصب القيادة بعد النبى(ص) هل هو منصب تنصيصى تعيينى أو أنّه منصب انتخابى اتّجاهين:

ص: ۴۳

فالشيعة ترى أنّ مقام القيادة منصب تنصيصى ولابدّ أن ينصّ على خليفة النبى(ص) من السماء، بينما يرى أهل السنّة أنّ هذا المنصب انتخابى جمهورى! أى إنّ على الأمّة أن تقوم بعد النبى(ص) باختيار فرد من أفرادها لإدارة البلاد!

إنّ تقسيم الأوضاع السياسية داخل المنطقة الإسلامية وخارجها فى عصر الرسالة يقضى بأنّ خليفة النبى(ص) لابدّ أن يعيّن من جانب الله تعالى ولايصحّ أن يوكل هذا إلى الأمّة؛ فإنّ المجتمع الإسلامى كان مهدّداً على الدوام بالخطر الثلاثى(الروم- الفرس- المنافقون) بشنّ الهجوم الكاسح وإلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين.

كما أنّ مصالح الامّة كانت توجب أن تتوحّد صفوف المسلمين فى مواجهة الخطر الخارجى، وذلك بتعيين قائد سياسى من بعده، وبذلك يسدّ الطريق على نفوذ العدوّ فى جسم الامّة الإسلامية والسيطرة عليها وعلى مصيرها.

إنّ المحاسبات الاجتماعية تقول: إنّه كان من الواجب أن يتمتّع رسول(ص) الإسلام بتعيين قائد للأمّة، وإنّ تحصين الامّة لميكن ليتحقق إلّا بتعيين قائد للأمّة وعدم ترك الأمور للأقدار، ولعلّه لهذه الجهة ولجهات اخرى طرح رسول الإسلام(ص) مسألة

ص: ۴۴

الخلافة فی الأیام الاولی من میلاد الرسالة الإسلامیة، وظلّ یواصل طرحها والتذکیر بها طوال حیاته حتّی الساعات الأخیرة منها، حیث عیّن خلیفته ونصّ علیه بالنصّ القاطع الواضح الصریح فی بدء دعوته ب- «حدیث یوم الدّار» و «حدیث بدء الدعوة» وفی نهایتها أیضاً ب- «حدیث الغدیر».

شذرات من فضائله

یطیب لی أن أشیر إلی بعض خصائصه قیاماً ببعض الوظیفة تجاه ما له من الحقوق علی الإسلام والمسلمین عامّة، فنقول: إنّ له خصائص لم یشارکه فیها أحد:

۱- ولادته فی جوف الکعبة.

۲- احتضان النبی الأکرم(ص) له منذ صغره.

۳- سبقه الجمیع فی الإسلام.

۴- مؤاخاة النبی(ص) له من دون باقی الصحابة.

۵- حمله من قِبل النبی(ص) علی کتفه لطرح الأصنام الموضوعة فی الکعبة.

۶- استمرار ذرّیة رسول الله(ص) من صلبه.

۷- یصاق النبی(ص) فی عینیه یوم خیبر ودعاؤه له بأن لایصیبه حرّ ولا قرّ.

ص: ۴۵

۸- إنّ حبّه إیمان وبغضه نفاق.

۹- إنّ النبی(ص) باهل النصاری به وبزوجته وأولاده دون سائرالأصحاب.

۱۰- تبلیغه سورة براءة، عن النبی(ص).

۱۱- إنّ النبی(ص) خصّه یوم الغدیر بالولایة.

۱۲- إنّه القائل «سلونی قبل أن تفقدونی».

۱۳- إنّ النبی(ص) خصّه بتغسیله وتجهیزه والصلاة علیه.

۱۴- إنّ الناس جمیعاً من أرباب الأدیان وغیرهم ینظرون إلیه کأعظم رجل عرفه التاریخ.

۱۵- إیثاره للنبی(ص) علی نفسه فی لیلة المبیت.

الإمام الثانی: «أبو محمد الحسن بن علی المجتبی ۸»

اشارة

هو ثانی أئمّة أهل البیت الطاهر وأوّل السبطین وأحد سیدی شباب أهل الجنّة وریحانة رسول الله(ص) وأحد الخمسة من أصحاب الکساء، امّه فاطمة بنت رسول الله(ص) سیدة نساء العالمین.

ولد فی المدینة لیلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث أو اثنتین من الهجرة، وهو أوّل أولاد علی(ع) وفاطمة ۳. وروی

ص: ۴۶

عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله(ص) من الحسن بن على(ع).

و يكفى فى إثبات إمامته ما صرّح به النبى(ص) من قوله: «هذان ابناى إمامان قاما أو قعدا».

قال المفيد: «كانت بيعته يوم الجمعة الحادى والعشرون من شهر رمضان سنة أربعين من الهجره، فرتّب العمّال وأمّر الأمراء وأنفذ عبدالله بن العبّاس إلى البصرة، ونظر فى الأمور، فلّما بلغ معاوية وفاة أميرالمؤمنين وبيعة النّاس ابنه الحسن، دسّ رجلًا من حمير إلى الكوفة ورجلًا من بنى العين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار وليفسدا على الحسن(ع) الأمور. فعرف ذلك الحسن فأمر باستخراج الحميرى من عند لحّام فى الكوفة، فأخرج وأمر بضرب عنقه وكتب إلى البصرة باستخراج القينى من بنى سليم، فأخرج وضربت عنقه.

ثمّ إنّه استمرّت المراسلات بين الحسن(ع) ومعاوية وانجرّت إلى حوادث مريرة إلى أن أدّت إلى الصلح، واضطرّ إلى التنازل عن الخلافة.

شهادته ودفنه (ع):

لمّا نقض معاوية عهده مع الإمام الحسن(ع)، وما كان ذلك

ص: ۴۷

بغريب على رجل أبوه أبوسفيان وامّه هند وهو طليق ابن طلقاء عمد إلى أخذ البيعة ليزيد ولده المشهور بمجونه وتهتّكه وزندقته، وما كان شى ء أثقل عليه من أمر الحسن بن على(ع) فدسّ إليه السمّ، فاستشهد بسببه. ومضوا به من جانب روضة رسول الله(ص) إلى البقيع، ودفنوه عند جدّته فاطمة بنت أسد.

و استشهد الحسن(ع) وله من العمر ۴۷ عاماً، وكانت سنة استشهاده ۵۰ من الهجرة النبوية، ولمّا بلغ معاوية موت الحسن(ع) سجد وسجد من حوله! وكبّر وكبّروا معه!

الإمام الثالث: «أبوعبدالله الحسين بن على ۸ سيدالشهداءِ»

هو ثالث أئمّة أهل البيت الطاهر وثانى السبطين وسيدى شباب أهل الجنّة وريحانتى المصطفى(ص) وأحد الخمسة أصحاب الكساء(عليهم السلام) وسيدالشّهداء(ع)، أمّه فاطمة بنت رسول الله(ص).

ولد فى المدينة المنوّرة فى الثالث من شعبان سنة ثلاث أو أربع من الهجرة، ولمّا استشهد أخوه الحسن فى السنة الخمسين من الهجرة أوصى إليه بالإمامة فاجتمعت الشيعة حوله، يرجعون إليه فى حلّهم وترحالهم، وكان لمعاوية عيون فى المدينة يكتبون إليه ما يكون من الأحداث المهمة التى لا توافق هوى

ص: ۴۸

السلطهٔ الأموية المنحرفهٔ.

و لمّا هلك معاوية فى منتصف رجب سنة ۶۰ هجرية كتب يزيد إلى الوليدبن عُتبة والى المدينة أن يأخذ الحسين(ع) بالبيعة له.

فاسترجع الحسين(ع) وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السّلام إذا بليت الأمّة براع مثل يزيد ... وقد سمعتُ جدّى رسول الله(ص) يقول: «الخلافة محرّمة على آل أبى سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبرى فأبقروا بطنه» ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول‌الله(ص) فلم يفعلوا به ما أمروا، فابتلاهم بابنه يزيد.». ثمّ إنّ الحسين(ع) غادرالمدينة إلى مكة، ولمّا بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد فاتّفقوا أن يكتبوا إلى الحسين(ع) رسائل وينفذوا رسلًا طالبين منه القدوم إليهم.

و لما جاءت رسائل أهل الكوفة تترى على الحسين(ع)، أرسل ابن عمّه مسلم بن عقيل- رضوان الله عليه- إلى الكوفة ممثّلًا عنه لأخذ البيعة له منهم وللتحقّق من جدّية هذا الأمر، ثمّ خرج الإمام من مكة متوجّهاً إلى الكوفة يوم التروية أو يوماً قبله مع أهل بيته وجماعة من أصحابه وشيعته بعد إقامته فى

ص: ۴۹

مكة بأربعة أشهر.

و لمّا أخذ الإمام يقترب من الكوفه استقبله الحرّ بن يزيد الرياحى بألف فارس مبعوثاً من الوالى عبيدالله بن زياد لاستقدامه وإكراهه على إعطاء البيعة ليزيد وإرساله قهراً إلى الكوفة.

و كان الإمام الحسين(ع) يدرك قطعاً أنّه يصبح شهيداً إلّا أنه أراد يسقى بدمائه الطاهرة المقدّسة شجرة الإسلام الوارفة التى يريد الأمويون اقتلاعها من جذورها؛ كما أنّ الإمام أراد أن يكسر حاجز الخوف الذى أصاب الأمّة فجعلها حائرة متردّدة أمام طغيان الجبابرة وحكام الجور وأن تصبح ثورته مدرسة تتعلّم منها الأجيال معنى البطولة والتضحية من أجل المبادئ والعقائد، وقد تحقّق كلّ ذلك بعد استشهاد الإمام(ع)، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

ثمّ إنّه كان لشهادة الحسين(ع) أثر كبير فى إيقاظ شعور الأمّة وتشجيعها على الثّورة، فلا مغالاة فى قول من قال: إنّ الإسلام محمّدى الحدوث، حسينى البقاء والخلود.

لقد استشهد يوم الجمعة لعشر خلون من المحرّم سنة ۶۱ من الهجرة وقيل يوم السبت، وكان قد أدرك من حياة النبى

ص: ۵۰

الأكرم(ص) خمس أو ستّ سنوات، وعاش مع أبيه ۳۶ سنة ومع أخيه ۴۶ سنة، فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

الإمام الرابع: «على بن الحسين بن على زين العابدين (ع)»

هو رابع أئمّة أهل البيت الطاهر، المشهور بزين‌العابدين أو سيدهم والسجّاد وذى الثفنات. ولد فى المدينة سنة ۳۷ أو ۳۸ ه، ولقد تولّى الإمامة بعد استشهاد أبيه الحسين(ع) فى كربلاء.

و أمّا ثروته العلمية والعرفانية فهى أدعيته التى رواها المحدّثون بأسانيدهم المتضافرة والتى جمعت بما سمّى «بالصحيفة السجّادية» المنتشرة فى العالم، فهى زبور آل محمد(ص) وحرّى بنا القول إنّ أدعيته(ع) كانت ذات وجهين: وجه عبادى وآخر اجتماعى يتّسق مع مسارالحركة الإصلاحية الّتى قادها الإمام(ع) فى ذلك الظرف الصعب، فهو صاحب مدرسة إلهية تارة يعلّم المؤمن كيف يمجّدالله ويقدّسه وكيف يلج باب التوبة، واخرى يسلك به درب التعامل السليم مع المجتمع فيعلّمه أُسلوب البرّ بالوالدين ويشرح حقوق الوالد والولد والأهل

ص: ۵۱

والأصدقاء والجيران ثمّ يبيّن فاضل الأعمال وما يجب أن يلتزم به المسلم فی سلوکه الاجتماعی، کلّ ذلک بأسلوب تعلیمی رائع وبلیغ مستلهماً جوانبها من سیرة الأنبیاء وسنن المرسلین، وللإمام علی بن الحسین(ع) رسالة معروفة باسم رسالة الحقوق، وهی من جلائل الرسائل فی أنواع الحقوق.

استشهد بالمدینة عام ۹۴ أو ۹۵ ه. یوم السبت الثانی عشر من محرّم وقیل الخامس والعشرین منه.

الإمام الخامس: «أبوجعفر محمد بن علی الباقر ۸»

هو خامس أئمّة أهل البیت الطاهر، المعروف بالباقر، وقد اشتهر به لبقره العلم وتفجیره له، ولد بالمدینة غرّة رجب سنة ۵۷ ه. وقیل ۵۶ ه، واستشهد فی السابع من ذی‌الحجّة سنة ۱۱۴ ه. وعمره الشریف ۵۷ سنة، عاش مع جدّه الحسین(ع) ۴ سنین ومع أبیه(ع) بعد جدّه(ع) ۳۹ سنة، وکانت مدة إمامته(ع) ۱۸ سنة.

روی عنه معالم الدّین بقیة الصحابة ووجوه التابعین وفقهاء المسلمین، وسارت بذکر کلامه الأخبار وأنشدّت فی مدائحه الأشعار. وأمّا مناظراته مع المخالفین فحدّث عنها ولاحرج، وقد

ص: ۵۲

جمعها العلّامة الطبرسی فی كتاب الاحتجاج.

ثمّ إنّ الشيعة الإمامية أخذت كثيراً من الأحكام الشرعية عنه(ع) وعن ولده البار جعفر الصادق(ع)، حيث روی عنه(ع) الكثير من الروايات الفقهية التی تناولت مختلف جوانب الحياة. وأمّا ما روی عنه فی الحِكم والمواعظ فقد نقلها أبو نعيم الأصفهانی فی حلية الأولياء والحسن بن شعبة الحرّانی فی تحفه.

و قد استشهد الإمام محمّد الباقر(ع) عام ۱۱۴ ه، ودفن فی البقيع إلی جنب قبر أبيه.

الإمام السادس: «أبوعبدالله جعفر بن‌محمّدالصادق ٨»

هو الإمام السادس من أئمّة أهل البيت الطاهر(عليهم السلام)، ولقّب بالصادق لصدقه فی مقاله، وفضله أشهر من أن يذكر. ولد عام ۸۰ ه، واستشهد عام ۱۴۸ ه، ودفن فی البقيع جنب قبر أبيه محمّد الباقر(ع) وجدّه علی بن الحسين(ع) وعمّ جدّه الحسن بن علی(ع).

نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمّة وأعلامهم، مثل يحيی بن سعيد الأنصاری وابن جريح ومالك بن أنس والثوری وابن عيينة وابوحنيفة وشعبة وأبو أيوب

السجستانی وغیرهم، وعدّوا أخذهم عنه منقبة شرّفوا بها وفضیلة اکتسبوها.

و إنّک إذا تتّبعت کتب التاریخ والتراجم والسیر تقف علی اتّفاق الأمّة علی إمامته فی العلم والقیادة الروحیة وإن اختلفوا فی کونه إماماً منصوصاً من قبل الله عزّوجلّ، فذهبت الشیعة إلی الثانی نظراً إلی النصوص المتواترة المذکورة فی مظانّها.

و لقد امتدّ عصر الإمام الصادق(ع) من آخر خلافة عبدالملک بن مروان إلی وسط خلافة المنصور الدوانیقی، وقضی سنوات عمره الأولی حتّی الحادیة عشرة من عمره مع جدّه زین العابدین وحتّی الثانیة والثلاثین مع أبیه الباقر(ع)، فاختصّ بعد استشهاد أبیه بالزعامة سنة ۱۱۴. ه.، واتّسمت مدرسته بنشاط الحرکة العلمیة فی المدینة ومکة والکوفة وغیرها من الأقطار الإسلامیة.

و قد اتّسم العصر المذکور الذی عاشه الإمام(ع) بظهور الحرکات الفکریة ووفود الآراء الاعتقادیة الغریبة إلی المجتمع الإسلامی، وأهمها هی حرکة الغلاة الهدّامة، فکانوا یبثّون الأحادیث الکاذبة ویسندونها إلی حملة العلم من آل محمد(علیهم السلام) لیغروا بها العامّة، فکان المغیرة بن سعید یدّعی الاتصال بأبی

ص: ۵۴

جعفر الباقر(ع) ويروى عنه الأحاديث المكذوبة، فأعلن الإمام الصادق(ع) كذبه والبراءة منه.

ثمّ إنّ الإمام قام بهدايـة الامّة إلى النهج الصواب، وتربّى على يديه آلاف من المحدّثين والفقهاء، فكانوا أربعة آلاف رجل؛ فإنّ الإمام كان بحقّ سـفينة النّجاة من هذا المعترك العسر. إنّ للإمام الصادق(ع) وراء ما نشر عنه من الأحاديث فى الأحكام التى تتجاوز عشرات آلاف، والمناظرات مع الزنادقـة والملحـدين فى عصـره والمتقشّـفين من الصوفيـة، وقد ضـبط المحققون كثيراً منها، وهى فى حدّ ذاتها ثروة علمية تركها الإمام(ع).

و أمّا الروايـة عنه فى الأحكـام فقـد روى عنه أبـان بن تغلب ثلاثين ألف حـديث حتّى أنّ الحسن‌بن‌على الوشّاء قال: أدركتُ فى هـذا المسـجد(مسـجد الكوفة) تسـعمئة شيخ كلّ يقول حدّثنى جعفر بن محمد(ع)، بل كان يحضر حلقات درسه الفلاسفة وطلّاب العلم من الأنحاء القصيـة، وكان الإمام «الحسن البصـرى» مؤسـس المدرسة الفلسـفية فى مدينة البصرة وواصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة من تلاميذه الذين نهلوا من معين علمه الفياض.

و لمّا استشهد الإمام شيّعه عامة الناس فى المدينة وحمل إلى

ص: ۵۵

البقيع، ودفن فى جوار أبيه وجدّه(ع)، فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

الإمام السابع: «أبوالحسن موسى بن جعفرالكاظم ٨»

ولد بالأبواء بين مكة والمدينة يوم الأحد فى ۷ صفر سنة ۱۲۸ ه.، كان(ع) نموذج عصره وفريد دهره، عظيم الحلم حتّى سمّى لذلك كاظماً، لاقى من المحن ما تنهدّ لهولها الجبال، فلم‌تحرّك منه طرفاً، بل كان(ع) صابراً محتسباً كحال آبائه وأجداده، يعرف بأسماء عديدة منها: العبد الصالح، والكاظم، والصابر، والأمين.

قال الشيخ المفيد: «هو الإمام بعد أبيه والمقدّم على جميع بنيه، لاجتماع خصال الفضل فيه، وورود صحيح النصوص وجلىّ الأقوال عليه من أبيه بأنّه ولى عهده والإمام القائم من بعده.» وقد تولّى منصب الإمامة بعد أبيه الصادق(ع) فى وقت شهدت فيه الدولة العبّاسية استقرار أركانها وثبات بنيانها، فشهد الإمام الكاظم(ع) طيلة سنى حياته صنوف التضييق والمزاحمة إلّا أنّ ذلك لم‌يمنعه(ع) من أن يؤدّى رسالته فى حماية الدّين وقيادة الأمّة.

و قد قام هارون‌الرّشيد باعتقال الإمام الكاظم(ع) وإيداعه

ص: ۵۶

السجن لسنين طويلة مع تأكيده على سجّانيه بالتشديد والتضييق عليه، ولم‌يزل ذلك الأمر حتى نُقل إلى سجن السندى بن شاهک وكان فاجراً فاسقاً، فغالى فى سجن الإمام(ع) وزاد فى تقييده حتى جاء أمر الرّشيد بدسّ السمّ للكاظم(ع)، فأسرع السندى إلى إنفاذ هذا الأمر العظيم، واستشهد الإمام(ع) بعد طول سجن ومعاناة فى عام ۱۸۳ ه.، واخرج جسمانه الطاهر ووضع على الجسر ببغداد، ونودى بوفاته، ودفن فى الجانب الغربى فى المقبرة المعروفة بمقابر قريش المشهورة فى أيامنا هذه بالكاظمية، فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد سجيناً مظلوماً مسموماً ويوم يبعث حيّاً.

الإمام الثامن: «أبوالحسن على بن موسى الرّضا ٨»

ولد فى المدينة سنة ۱۴۸ ه.، هو الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت القائم بالإمامة بعد أبيه ۱۸۳ ه. موسى بن جعفر لفضله على جماعة أهل بيته وبنيه وإخوته فى عصره ولعلمه وورعه وكفاءته لمنصب الإمامة، مضافاً إلى النصوص الواردة فى حقّه من أبيه على إمامته، وكانت مدّة إمامته بعد أبيه ۲۰ سنة.

و قد عاش الإمام الرّضا(ع) فى عصر ازدهرت فيه الحضارة

ص: ۵۷

الإسلامية، وكثرت الترجمة لكتب اليونانيين والرومانيين وغيرهم وازدادالتشكيك فى الاصول والعقائد من قبل الملاحدة وأحبار اليهود وبطارقة النصارى ومجسّمة أهل الحديث، وفى تلك الأزمنة اتيحت له(ع) فرصة المناظرة مع المخالفين على اختلاف مذاهبهم، فظهر برهانه وعلا شأنه، يقف على ذلك من اطّلع على مناظراته واحتجاجاته مع هؤلاء. ولمّا انتشر علم الإمام الرضا(ع) وفضله كثر التفاف المسلمين حوله وازدادت أعدادهم ممّا دفع بالخلافة العباسية إلى مناورة ذكية ماكرة. حين استقدم الإمام الرضا(ع) وجملة من وجوه الطالبين إلى مقرّ الحكومة آنذاك فى مرو من مدينة رسول‌الله(ص) وأصرّ على الامام(ع) أن يقبل بولاية العهد.

و كان الإمام فى مرو يقصده البعيد والقريب من مختلف الطبقات، وقد انتشر صيته فى بقاع الأرض وعظم تعلّق المسلمين به، ممّا أثار مخاوف المأمون وتوجّسه من أن ينفلت زمام الأمر من يديه على عكس ما يتمنّاه وما كان يبتغيه من ولاية العهد هذه، كلّ ذلك وغيره دفع المأمون إلى أن يريح نفسه وقومه من هذا الخطر فدسّ إليه السمّ، واستشهد فى طوس من أرض خراسان فى صفر ۲۰۳ ه. وله يومئذٍ ۵۵ سنة.

ص: ۵۸

و دفن فی مدینهٔ طوس فی قبر ملاصق لقبر هارونالرّشـید، وقبر الإمام الرضا(ع) الآن مزار مهیب یتقاطر المسلمون علی زیارته والتبرّک به.

فسلام الله علیه یوم ولد ویوم استشهد ویوم یبعث حیاً.

الإمام التاسع: «أبوجعفر محمد بن علی الجواد ٨»

ولد بالمدینهٔ المنوّرهٔ فی شـهر رمضان من سـنهٔ خمس وتسـعین بعد المائهٔ فورث الشـرف من آبائه وأجداده واستسقت عروقه من منبع النبوّهٔ وارتوت شجرته من منهل الرسالهٔ.

قام بأمر الولایهٔ بعد شهادهٔ والده الرضا(ع) عام ۲۰۳ ه.، واستشهد ببغداد عام ۲۲۰ ه.، أدرک خلافهٔ المأمون وأوائل خلافهٔ المعتصم.

أمّیا إمـامته ووصـایته فقـدوردت فیهـا النصوص الوافرهٔ، لقّب بـالجواد والقانع والمرتضـی والنجیب والتقی والزکی وغیرها من الألقاب الدالّهٔ علی علوّ شأنه وارتفاع منزلته.

لمّا استشـهد الرضا(ع) کان الإمام الجواد فی المدینهٔ وقام بأمر الإمامهٔ بوصـیهٔ من أبیه وله من العمر تسع أو عشـر سـنین، وکان المأمون قد مارس معه نفس السیاسهٔ التی مارسها مع أبیه(ع)، وهو استقدام أهل البیت من موطنهم إلی دارالخلافهٔ لکی

ص: ۵۹

يشرف على حركاتهم وسكناتهم، فزوّجه ابنته أمّالفضل وحملها معه إلى المدينة، وكان حريصاً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره، وسكن بها مدّة إلى أن توفى المأمون وبويع المعتصم ولم‌يزل المعتصم متفكّراً فى أبی‌جعفر يخاف من اجتماع الناس حوله ووثوبه على الخلافة، فاستقدم الإمام الجواد(ع) إلى بغداد سنة ۲۲۰ ه.، وبقى فيها(ع) حتّى استشهد فى آخر ذی‌القعدة من تلك السنة، وله من العمر ۲۵ سنة وأشهر، ودفن عند جدّه موسى بن جعفر فى مقابر قريش؛ وقال ابن شهر آشوب: إنّه قبض مسموماً، فسلام الله على إمامنا الجواد يوم ولد ويوم مات أو استشهد بالسمّ ويوم يبعث حيا.

الإمام العاشر: «أبوالحسن على بن محمّد الهادى ٨»

ولد عام ۲۱۲ ه. وهو من بيت الرسالة والإمامة ومقرّ الوصاية والخلافة وثمرة من شجرة النبوة، قام(ع) بأمر الإمامة بعد والده الإمام الجواد(ع)، وقد عاصر خلافة المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتزّ، وله مع هؤلاء قضايا لا يتّسع المقام لذكرها. وقد اجتمعت فيه خصال الإمامة وثبت النصّ عليه بالإمامة والإشارة إليه من أبيه بالخلافة.

ص: ۶۰

لقد مارس المتوکل ثمّ أخوه المعتصم من إشخاص الأئمّة أهل البیت من موطنهم وإجبارهم علی الإقامة فی مقرّ الخلافة وجعل العیون والحرّاس علیهم حتّی یطّلعوا علی دقیق حیاتهم وجلیلها.

روی الحفّاظ والرواة عن الإمام أحادیث کثیرة فی شتّی المجالات من العقیدة والشریعة. استشهد أبوالحسن فی رجب سنة أربع وخمسین ومائتین، ودفن فی داره بسرّ من رأی.

الإمام الحادی عشر: «أبومحمد الحسن بن علی العسکری ۸»

أبومحمّد الحسن بن علی بن محمّد(علیهم السلام) أحد أئمّة أهل البیت، وهو الإمام الحادی عشر، الملقّب بالعسکری، ولد عام ۲۳۲ ه.، اشخص والده إلی العراق سنة ۲۳۶ ه. وله من العمر أربع سنین وعدّة شهور، وقام بأمر الإمامة والقیادة الروحیة بعد شهادة والده. وقد اجتمعت فیه خصال الفضل وبرز تقدّمه علی کافّة أهل العصر، واشتهر بکمال الفضل والعلم والزهد والشجاعة. وقد روی عنه لفیف من الفقهاء والمحدّثین یربو عددهم علی ۱۵۰ شخصاً. واستشهد عام ۲۶۰ ه.، ودفن فی داره الّتی دفن فیها أبوه بسامراء، وخلّف ابنه المنتظر لدولة الحق. وکان قد

ص: ۶۱

أخفی مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وشدّة طلب السلطة واجتهادها فی البحث عن أمره؛ ولکنّ الله سبحانه حفظه من شرار أعدائه کما حفظ سائر أولیائه کإبراهیم الخلیل وموسی الکلیم فقد خابت السلطة فی طلبهما والاعتداء علیهما.

و قد اشتهر الإمام بالعسکری لأنّه منسوب إلی عسکر، ویراد بها سرّ من رأی التی بناها المعتصم وانتقل إلیها بعسکره.

الإمام الثانی عشر: «المهدی بن الحسن المنتظر [»

اشارة

هو أبوالقاسم محمد بن الحسن العسکری(ع) الحجة، الخلف الصالح، ولد ب- «سرّ من رأی» لیلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسین ومئتین وله من العمر عند استشهاد أبیه خمس سنین، آتاه الله الحکم صبیاً کما حدث لیحیی(ع)، حیث قال سبحانه:(یا یَحْیی خُذِ الْکِتابَ بِقُوَّةٍ وآتَیْناهُ الْحُکْمَ صَبِیًّا) (۱)، وجعله إماماً وهو طفل کما جعل المسیح(ع) نبیاً وهو رضیع، قال سبحانه عن لسانه وهو یخاطب قومه فی المهد:(إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْکِتابَ وجَعَلَنِی نَبِیًّا) (۲) اتّفق المسلمون علی ظهور المهدی فی آخر الزمان لإزالة

۱- مریم: ۱۲.

۲- همان: ۳۰.

ص: ۶۲

الجهل والظلم والجور، ونشر أعلام العدل وإعلاء كلمة الحق وإظهارالدّين كلّه ولو كره المشركون. (۱) فهو بإذن الله ينجی العالم من ذلّ عبودیـة غیر الله، ویلغی الأخلاق والعادات الذمیمة، ویبطل القوانین الکافرة التی سنّتها الأهواء، ویقطع أواصر العصبیات القومیة والعنصریة، ویمحو أسباب العداوة والبغضاء التی صارت سبباً لاختلاف الأمّة وافتراق الکلمة، ویحقّق الله سبحانه بظهوره وعده الذی وعد به المؤمنین (۲).

و تشهد الأمّة بعد ظهوره عصراً ذهبیاً لایبقی فیه علی الأرض بیت إلّا ودخلته کلمة الإسلام، ولاتبقی قریة إلّا وینادی فیها بشهادة «لا إله إلّا الله» بکرةً وعشیاً.

و إنّما الاختلاف بین الشیعة والسنّة فی ولادته، فالشیعة ذهبت إلی أنّ المهدی الموعود هو الإمام الثانی عشر الذی ولد بسامراء عام ۲۵۵ ه، واختفی بعد استشهاد أبیه عام ۲۶۰ ه، وقد تضافرت علیه النصوص من آبائه علی وجه ما ترک شکاً ولا شبهة، ووافقتهم جماعة من علماء أهل السنّة وقالوا بأنّه ولد

۱- صف: ۹، توبه: ۳۳، فتح: ۲۸.

۲- النور: ۵۵، قصص: ۵، الأنبیاء: ۱۰۵، یونس: ۸۲، أنفال: ۸.

ص: ۶۳

وأنّه محمد بن الحسن العسكرى [. نعم كثير منهم قالوا: بأنّه سيولد فى آخرالزمان.

و بما أنّ أهل البيت أدرى بما فى البيت، فمن رجع إلى روايات أئمّة أهل‌البيت فى كتبهم يظهرله الحقّ.

ثمّ إنّ للمهدى [غيبتين صغرى [۲۶۰– ۳۲۹ ه.] وكبرى [۳۲۹ ه. إلى الآن].

و أمّا من رأى الحجّة(ع) فى زمان أبيه وفى الغيبة الصغرى وحتى فى الكبرى فحدّث عنه ولاحرج.

أسئلة مهمّة حول المهدى (عج)

السؤال الأوّل: كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟!

إنّ القيادة والهداية والقيام بوظائف الإمامة هو الغاية من تنصيب الإمام أو اختياره، وهو يتوقّف على كونه ظاهراً بين أبناء الأمّة مشاهداً لهم، فكيف يكون إماماً قائداً وهو غائب عنهم؟!

و الجواب على وجهين نقيضاً وحلّاً: أمّا النقض: فإنّ التركيز على هذا السؤال يعرب عن عدم التعرّف على أولياءالله وأنّهم بين ظاهر قائم بالأمور، ومختفٍ قائم بها من دون أن يعرفه

ص: ۶۴

الناس.

حتی نبی زمانه کما یخبر سبحانه عن مصاحب موسی(ع) بقوله:(فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَیْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً) (۱) فالقرآن إذن یدلّ علی أنّ الولی ربّما یکون غائباً ولکنّه مع ذلک لایعیش فی غفلة عن أمّته، بل یتصرّف فی مصالحها، ویرعی شؤونها من دون أن یعرفه أبناء الأمّة. ولیست غیبة الإمام المهدی(ع) بدعاً فی تاریخ الأولیاء فهذا موسی(ع) ابن عمران قد غاب عن قومه قرابة أربعین یوماً وکان نبیاً ولیاً. (۲) وأمّا الحلّ: فمن وجوه:

الوجه الأوّل: إنّ عدم علمنا بفائدة وجوده فی زمن غیبته لایدلّ علی عدم کونه مفیداً فی زمن غیبته، ولاشک أنّ عقول البشر لاتصل إلی کثیر من الأمور المهمّة فی عالم التکوین والتشریع، بل لا تفهم مصلحة کثیر من سننه وإن کان فعله سبحانه منزّهاً عن العبث، بعیداً عن اللغو، وعلی ذلک فیجب علینا التسلیم أمام التشریع إذا وصل إلینا بصورة صحیحة کما

۱- کهف: ۶۵- ۸۲.

۲- الأعراف: ۱۴۲ وأیضاً الأنبیاء: ۸۷- ۸۸.

ص: ۶۵

عرفت من تواتر الروايات على غيبته.

الوجه الثانى: إنّ الغيبة لاتلازم عدم التصرف فى الأمور وعدم الإستفادة من وجوده.

كما دلّت الروايات على أنّه يغيث المضطرين ويعود المرضى، وربّما يتكفّل- بنفسه الشريفة قضاء حوائجهم وإن كان الناس لايعرفونه.

الوجه الثالث: إنّ الصلحاء من الأمّة الّذين يستدرّ بهم الغمام، لهم التشرّف بلقائه والاستفادة من نور وجوده، وبالتالى تستفيد الأمّة بواسطتهم.

الوجه الرابع: لا يجب على الإمام أن يتولّى التصرّف فى الأمور الظاهرية بنفسه، بل له تولية غيره على التصرّف فى الأمور كما فعل الإمام المهدى- ارواحنا له الفداء- فى غيبته. ففى الغيبة الصغرى: كان له وكلاء أربعة يقومون بحوائج النّاس، وكانت الصّلة بينه وبين الناس مستمرّة بهم، وفى الغيبة الكبرى نصب الفقهاء والعلماء العدول العالمين بالأحكام للقضاء وتدبير الأمور وإقامة الحدود، وجعلهم حجة على الناس، فهم يقومون فى عصرالغيبة بصيانة الشرع عن التحريف وبيان الأحكام ودفع الشبهات وبكل ما يتوقّف عليه نظم أمور الناس. ولغيبته(ع)

ص: ۶۶

فوائد کثیرة اخر تذکر فی مجالها.

السؤال الثانی: لماذا غاب المهدی [؟!

الجواب: أنّ هذا السؤال یجاب علیه بالنقض والحلّ؛

أمّا النقض: الاعتراف بقصور أفهامنا أولی من ردّ الروایات المتواترة، بل هو المتعیّن.

و أما الحلّ: فإنّ الإمام المهدی(ع) فلو کان ظاهراً لأقدموا علی قتله إطفاءً لنوره، فلأجل ذلک اقتضت المصلحة أن یکون مستوراً عن أعین النّاس إلی أن تقتضی مشیئة الله سبحانه ظهوره بعد حصول استعداد خاص فی العالم لقبوله والإنضواء تحت لواء طاعته.

السؤال الثالث: الإمام المهدی [وطول عمره؟!

الجواب من وجهین: نقضاً وحلّاً؛

أمّا النقض: فقد دلّ الذکر الحکیم علی أنّ شیخ الأنبیاء عاش قرابة ألف سنة، قال تعالی:(فَلَبِثَ فِیهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِینَ عاماً). (۱)

۱- العنکبوت: ۱۴.

ص: ۶۷

و قـد تضـمّنت التوراة أسـماء جماعـة كثيرة من المعمّرين، وذكرت أحوالهم فى سـفر التكوين، وقد قام المسـلمون بتأليف كتب حول المعمّرين.

و أمّـا الحلّ: فإنّ السؤال عن إمكان طول العمر يعرب عن عـدم التعرّف على سـعة قـدرة الله سـبحانه:(وَ ما قَـدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَـدْرِهِ). (۱) أضف إلى ذلك ما ثبت فى علم الأحياء، من إمكان طول عمر الإنسان إذا كان مراعياً لقواعد حفظ الصحة، وأنّ موت الإنسان فى فترة متدنية ليس لقصور الإقتضاء، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة، ولو أمكن تحصين الإنسان منها بالأدوية والمعالجات الخاصّة لطال عمره ما شاء.

فلو فرض فى حياة شخص اجتماع موجبات الصحة من كلّ وجه طال عمره إلى ما شاء الله.

السؤال الرابع: ما هى علائم ظهوره؟!

الجواب: إنّ ماجاء فى كتب الأحاديث من الحوادث والفتن الواقعة فى آخرالزمان ... عبارة عن أمور، عدّة منها:

۱- الأنعام: ۹۱.

ص: ۶۸

۱- النداء فی السماء.

۲- الخسوف والکسوف فی غیر مواقعهما.

۳- الشقاق والنفاق فی المجتمع.

۴- ذیوع الجور والظلم والهرج والمرج فی الامّة.

۵- ابتلاء الإنسان بالموت الأحمر والأبیض.

۶- قتل النفس الزّکیة.

۷- خروج الدجّال.

۸- خروج السفیانی.

و غیرذلک ممّا جاء فی الأحادیث الإسلامیة. هذه هی علامات ظهوره، ولکن هناک أمور تمهّد لظهوره وتسهّل تحقیق أهدافه نشیر إلی أبرزها:

۱- الاستعداد العالمی.

۲- تکامل العقول.

۳- تکامل الصناعات.

۴- الجیش الثوری العالمی.

ص: ۶۹

الفصل الثالث: دورالشيعة فى بناء الحضارة الإسلامية

تمهيد:

إنّ الحضارة الإسلامية تعدّ بلا شكّ من أكبر الحضارات فى تاريخ الإنسان وأكثرها اهتماماً بالعلم والفلسفة والأدب والفنون، وهى الأساس الوطيد الذى قامت عليه حركة النهضة الأوروبية، إنّها حضارة حقيقية ترتكز على أُسس أخلاقية وعقائدية سماوية، ضربت جذورها فى أعماق البناء الإنسانى واستطاعت أن تجعل منه وكما أراد خالقه له أن يكون خليفته فى أرضه.

إنّ مؤسس الحضارة الإسلامية هو النبى الأكرم(ص)، وقد جاء

ص: ۷۰

بسنن وقوانين دفعت البشرية إلى مكارم الأخلاق كما دفعتهم إلى متابعة العلوم والفنون واستغلال الموارد الطبيعية وتكوين مجتمع تسود فيه النظم الاجتماعية المستقيمة، فأصبحت لهم قوّة اقتصادية ونظم سياسية وتقاليد دينيّه وخُلقيّه، وأُعطوا العلوم المختلفة جلّ اهتمامهم، فبرز منهم العديد من العلماء المتفوّقين والبارعين فى شتّى مناحى العلم، ورفدوا حركة تطوّر الحضارة البشرية بجهودهم المخلصة.

و الذى يطيب لنا هنا ذكر مشاركة الشيعة فى بناء هذه الحضارة:

أوّلًا: قدماء الشيعة وعلم البيان.

ثانياً: قدماء الشيعة وعلم النحو:

إنّ دراسة القرآن بين الأمّة ونشر مفاهيمه يتوقّف على معرفة العلوم الّتى تعدّ مفتاحاً له، إذ لولا ـ هذه العلوم ونضجها لحرم جميع المسلمين حتّى العرب منهم من الاستفادة من القرآن الكريم، فقام أبوالأسود الدؤلى بوضع قواعد نحوية بأمر الإمام أميرالمؤمنين(ع)، فأبوالأسود إمّا واضع علم النحو أو مدوّنه، وكان من سادات التابعين، وقد صاحب علياً، وشهد معه صفين، ثمّ أقام فى البصرة. توفّى سنة ۶۹ ه.

ص: ۷۱

وکان الخلیل من أصحاب الإمام الصادق(ع) ومن شیعته، وممّن ألّف فی علم النحو من قدماء الشیعة عطاء بن أبی الأسود وحمران بن أعین أخو زرارة بن أعین وأبوعثمان المازنی وبکر بن محمد ویعقوب بن إسحاق السکّیت الذی قتله المتوکل لأجل تشیّعه عام ۲۴۴ ه.، وقد خلّف بضعة وعشرین أثراً فی النحو واللغة والشعر.

وکذلک ابن حمدون وأحمد بن إبراهیم وأبواسحاق النّحوی وثعلبة بن میمون وقتیبة النحوی الجعفی الکوفی، هذا فی القرون الأولی.

وأمّا من تلاهم من الأعلام بینهم شخصیات بارزة کالشریف المرتضی والشّریف الرضی وابن الشجری، ونجم الأئمّة الرّضی الاسترآبادی.

ثالثاً: قدماء الشیعة وعلم الصّرف:

إنّ أوّل من دوّن الصرف أبوعثمان المازنی، وکان قبل ذلک مندرجاً فی علم النّحو، کما ذکره فی کشف الظنون وشرحه أبوالفتح عثمان بن جنّی المتوفّی فی ۳۹۲ ه.، وأبسط کتاب فی الصرف ما کتبه نجم الأئمّة محمّد بن الحسن الأسترآبادی الغروی، وله شرح الشافیة فی الصرف کما له شرح الکافیة فی

ص: ۷۲

النحو، وكلا كتابيه جليل الخطر محمود الأثر قد جمع فيهما بين الدلائل والمبانى.

رابعاً: قدماء الشيعة وعلم اللغة:

ونريد بعلم اللّغة: الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث اصولها واشتقاقاتها ومعانيها، وقد ظهر فى ميدان هذاالعلم المهمّ جملة واسعة من علماء الشيعة. ومن هؤلاء الأفاضل:

۱- الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى الأزدى، وهو أول من ضبط اللّغة وأوّل من استخرج علم العروض إلى الوجود، فألّف كتابه «العين»، ورتّب ذلك على حروف الهجاء. والخليل من أعلام القرن الثانى الهجرى، وكان إمامى المذهب.

۲- أبان بن تغلب بن رباح الجريرى: من أصحاب الباقر والصادق(ع).

۳- ابن حمدون النديم.

۴- أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى صاحب «الجمهرة فى اللغة»، واختصره الصاحب بن العباد وسمّاه «جوهرة الجمهرة»، ومن كتبه فى اللغة «المحيط» عشرة مجلّدات.

خامساً: قدماء الشيعة وعلم العروض:

الخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى وكافى الكفاة الصاحب

ص: ۷۳

بن عباد، له كتاب «الإقناع فى العروض» وهبةالدين الشهرستانى(۱۳۰۱ – ۱۳۸۶ ه.) والشيخ مصطفى التبريزى(۱۲۹۸ – ۱۳۳۸ ه.) وأبوالمجد الشيخ محمد رضا الإصفهانى(۱۲۸۶– ۱۳۶۲ ه.).

سادساً: قدماء الشّيعة وطرائف الشعر:

و نريد بالشعر ما يحتوى على المضامين العالية فى الحياة وما يبثّ روح الجهاد فى الإنسان، فإنّا نعنى بحديثنا هنا أولئك الشعراء الذين أوقفوا أشعارهم فى خدمة كلمة الحق وإعلاء شأن الدّين الحنيف. وإليك أسماء بعض من شعراء الشيعة:

قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج والصحابى الكبير والكميت بن زيد والسيد الحميرى(ت ۱۷۳ ه.) أبوهاشم إسماعيل بن محمد الملقّب بالسيد ودعبل الخزاعى(المتوفّى ۲۴۶ ه.) يرجع نسبه إلى بديل بن ورقاء الخزاعى الذى دعا له النبى(ص) والأمير أبوفراس الحمدانى(۳۲۰– ۳۵۷ ه.) وابن الحجّاج البغدادى(المتوفّى ۳۲۱ ه.) ...؛ الشريف الرضى(۳۵۹– ۴۰۶ ه.) والشريف المرتضى(۳۵۵– ۴۳۶ ه.) ومهيارالديلمى(المتوفّى ۴۴۸).

سابعاً: قدماء الشّيعة وعلم التفسير:

ص: ۷۴

إنّ أئمّـة أهـل الـبيت- بعـد الرسول الأـكرم(ص)- هم المفّسـرون الحقيقيون للقرآن الكريم، حيث فسّـروا القرآن بـالعلوم الّتى نحلهم الرسول(ص) بأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم الّتى لاتشذّ عن قول الرسول(ص) وفعله وتقريره.

و قـد قـام فضـلاء الشـيعة من صـحابة الإمام على(ع) والتابعين له إلى العصـر الحاضـر إما بتفسـير جميع سوره أو بعضـها، والغالب على التفاسـير المعروفة فى القرون الثلاثة الاولى هو التفسـير بالأثر، ولكن انقلب النمط إلى التفسير العلمى والتحليلى من أواخر القرن الرابع، فأوّل من ألّف من الشيعة على هذا المنهاج هو الشريف الرضى(۳۵۹- ۴۰۶ ه.) مؤلّف كتاب «حقائق التأويل» فى عشرين جزءاً.

ثمّ الشـريف المرتضى فى أماليه المعروف به «الدرر والغرر» ثم الشيخ الأكبر الطوسى(۳۸۵- ۴۶۰ ه.) مؤلّف «التبيان فى تفسير القرآن» فى عشرة أجزاء كبار.

واسـتمرار الأمر إلى عصـرنا هذا، فقد قامت الشـيعة فى كلّ قرن بتأليف عشرات التفاسير وفق أساليب متنوّعة ولغات متعدّدة، لايحصيها إلّا المتوغّل فى المعاجم فبلغ عددهم(۱۲۲) مفسّراً معروفاً.

ص: ۷۵

ثامناً: قدماء الشيعة وعلم الحديث:

قـام الإمـام أميرالمؤمنين على(ع) بتـأليف عـدّة كتب فى زمـان النّبى(ص)، فقـد أملى رسول الله كثيراً من الأحكـام عليه وكتبها الإمام، واشـتهر بكتاب على، وتبعه ثلّة من الصحابة الذين كانوا شيعة له. وإليك أسماء من اهتمّ بتدوين الآثار وما له صلة بالدّين وإن لم يكن حديث الرسول(ص): أبورافع وسـلمان فارسى وأبوذر غفارى وأصبغ بن نباتة المجاشعى وعبدالله بن أبى رافع المدنى وربيعة بن سميع وسـليم بن قيس هلالى وعلى بن أبى رافع وعبيـدالله بن الحرّ الجعفى والإمام السّـجاد زين العابدين على بن الحسـين(ع) وجابربن يزيد بن الحارث الجعفى وجارود بن منذر.

وأنّهم لم يقيموا لمنع الخلفاء وزناً ولاقيمة، وبذلك حفظوا نصوص النبىالأكرم(ص) وأهل بيته وقدّموها إلى المجتمع الإسلامى، فعلى جميع علماء المسلمين أن يتمسّكوا بهذا الحبل الذى هو أحد الثقلين.

تاسعاً: قدماء الشيعة والفقه الإسلامى:

إنّ الفقه الشيعى هو الشجرة الطيبة الراسخة الجذور المتّصلة الأسس بالنّبوة والتى امتازت بالسعة والشمولية والعمق والدقّة

ص: ۷۶

والقدرة على مسايرة العصور المختلفة، يعتمد فى الدرجة الاولى على القرآن الكريم، ثم على السّنة المحمّدية المنقولة عن النبى(ص) عن طريق العترة الطاهرة أو الثقات من أصحابهم والتابعين لهم بإحسان، وكذلك يتخذ من العقل دليلًا وأيضاً الإجماع الكاشف عن وجود النصّ فى المسألة أو موافقة الإمام المعصوم مع المجمعين فى عصر الحضور، ولم‌يقفل باب الاجتهاد منذ رحلة النبى(ص) إلى يومنا هذا، بل فتح بابه طيلة القرون، فأنتج عبرالعصور فقهاء عظاماً وموسوعات كبيرة لم‌يشهد التاريخ لها ولهم مثيلًا، كزرارة بن أعين ومحمد ابن مسلم وبريد بن معاوية والفضل بن يسار وجميل بن دراج وعبدالله بن مسكان وعبدالله بن بُكير وحمّاد بن عثمان وحمّاد بن عيسى وأبان بن عثمان ومحمد بن أبى عمير والحسن بن محبوب، وكلّهم خرّيجو مدرسة أهل‌البيت، ولقد خلّفوا آثاراً علميةً باسم الأصل والكتاب والنوادر والجامع والمسائل وعناوين أخرى، فخلّفوا جوامع فقهية مهمّة كانت ولازالت خير زاد للمسلمين. ومن هؤلاء الأعلام: أيضاً صفوان بن يحيى وأحمد بن محمد بن خالد البرقى(ت ۲۷۴ ه.) صاحب كتاب المحاسن وغيره ومحمد بن أحمد بن يحيى الأشعرى القمّى(ت ۲۹۳ ه.) وأحمد

ص: ۷۷

ابن محمد بن أبی نصر البزنطی(ت ۲۲۱ ه.(.

علی بن الحسين بن بابويه(ت ۳۲۹ ه.) وجعفر بن محمّد بن قولويه أستاذ الشيخ الصّدوق ومؤلّف كامل الزيارات ومحمّد بن علی بن الحسين الصدوق(۳۰۶ - ۳۸۱ ه.) مؤلّف كتاب من لايحضره الفقيه والمقنع والهداية ومحمد بن أحمد بن الجنيد المعروف بالإسكافی(۳۸۵ ه.) والشيخ المفيد(۳۳۶ - ۴۱۳ ه.) والسيد المرتضی(۳۵۵ - ۴۳۶ ه.) والشيخ الكراجكی(ت ۴۴۹) والشيخ الطوسی(۳۸۵- ۴۶۰ ه.).

و يشهد الله أنّ علماء الشيعة قاموا بهذه الجهود فی ظروف قاسية ورهيبة، وكانت الحكومات الظالمة ومرتزقتها لا-ينفكون عن مطاردتهم وإيداعهم فی السجون وعرضهم علی السّيف، وأين هؤلاء من الفقهاء الذين تنعّموا بالهدوء والاستقرار واستقبلتهم السلطات الحاكمة بصدر رحب واجيزوا مقابل أبيات معدودة من الشعر الرخيص أو كتيب أو رسالة صغيرة بالهبات والعطايا؟! كابن مالك.

عاشراً: قدماء الشيعة وعلم أصول الفقه:

إنّ افتقاد النصّ فی مجال التشريع الّذی واجه فقهاء أهل السنّة بعد رحلة النبی(ص) هو الّذی دعاهم إلی التفحّص عن

ص: ٧٨

الحلّ لهذه الأزمة حتّى تسدّ حاجاتهم الفقهية، فعكفوا على المقاييس الظنّية الّتى ما أنزل الله بها من سلطان كالقياس والاستقراء والاستحسان وسدّ الذرائع وسنّة الخلفاء أو سنّة الصحابة أو رأى أهل المدينة إلى غير ذلك من القواعد أسّسوا عليها فقههم عبر قرون متمادية.

و أمّا الشّيعة فحيث إنّهم لم يفتقدوا سنّة الرسول(ص) بعد وفاته لوجود باب علم النبى(ص) على(ع) والأئمة المعصومين- بين ظهرانيهم، فلم تكن هناك أيّة حاجة للعمل بتلك المقاييس.

نعم انبرى أئمّة أهل البيت إلى إملاء ضوابط وقواعد يرجع إليها الفقيه عند فقدان النصّ أو إجماله أو تعارضه إلى غير ذلك من الحالات الّتى يواجه بها الفقيه، وتلك الأصول هى الّتى تكون أساساً لعلم أصول الفقه.

نعم، يمكن عدّها مرحلة أولى ونواة بالنسبة إلى المرحلة الثانية. وأمّا المرحلة الثانية فقد امتازت بالسعة والشمول بإدخال كثير من المسائل الأدبية والكلامية فى علم أصول الفقه. وأوّل من فتح هذا الباب للشيعة على مصراعيه: معلّم الأمّة الشيخ المفيد(٣٣٦- ٤١٣ ه.) والسيد المرتضى والشيخ الطوسى(٣٨٥- ٤٦٠ ه.) وابن زهره المتوفى عام(٥٨٥ ه.)

ص: ۷۹

الشیخ سدیدالدین الحمصی المتوفّی حدود سنة(۶۰۰ ه.). وقد تلتها مراحل أخری إلی أن بلغت فی القرن الرابع عشرذروتها وقمّتها، شکرالله مساعیهم.

حادیعشر: قدماء الشیعة وعلم المغازی والسیر:

لقد قیّض الله سبحانه رجالًا فی الشیعة ضبطوا سیرة النبی ومغازیه، منهم:

۱- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق(ت ۱۵۱ ه.) من أصحاب الإمام الصادق(ص).

۲- عبیدالله بن أبی رافع، وهو من أصحاب الإمام أمیرالمؤمنین علی بن أبیطالب(ع) أنّه ألّف فی مغازی الإمام علی(ع).

۳- جابر الجعفی(ت ۱۲۸ ه.).

۴- أبان بن عثمان الأحمر البجلّی الکوفی.

۵- أبومخنف لوط بن یحیی الأزدی الغامدی.

۶- نصر بن مزاحم(۲۱۲ ه.).

۷- هشام بن محمّد بن السائب الکلبی(المتوفّی ۲۰۶ ه.).

ثانی عشر: قدماء الشّیعة وعلم الرّجال:

اهتمّ علماء الشیعة بعد عصر التابعین بعلم الرجال وأولوه

ص: ۸۰

اهتماماً كبيراً، فبرزت منهم ثلّة كبيرة من سادات هذا العلم. وسنحاول هنا أن نذكر أوائل المؤلّفين، منهم: على بن الحسن بن فضّال من أصحاب الإمامين الهادى والعسكرى(ع).

الحسن بن محبوب السرّاد(۱۵۰- ۲۲۴ ه.) من أصحاب الصادق(ع)، أبوعمر الكشّى، الشيخ أبوالعبّاس أحمد بن على النجاشى(۳۷۲- ۴۵۰ ه.)، والشيخ الطوسى(۳۸۵- ۴۶۰ ه.)، وتوالى التأليف فى علم الرّجال كما فى قرينه علم الدراية إلى عصرنا هذا، فبلغوا قرابة خمسمائة مؤلّف، شكّرالله مساعى الجميع.

ثالث عشر: قدماء الشيعة والعلوم العقلية:

إنّ المسلمين سوى قليل منهم صاروا بين مشبّه ومعطّل، وبذلك استغنوا عن أىّ تعقّل وتفكّر غير أنّه سبحانه شملت عنايته أمّة من المسلمين رفضوا التشبيه والتعطيل، وسلكوا طريقاً ثالثاً، وقالوا بأنّه يمكن للإنسان التعرّف على ماوراء الطبيعة بما فيها من الجمال والكمال بلا تشبيه.

ترى ذلك فى كلام الإمام على(ع) بوضوح فى أحاديثه وخطبه ورسائله، فإنّ خطب الإمام على(ع) ورسائله وقصار حكمه كانت هى الحجر الأساس لكلام الشيعة وآرائهم فى العقائد والمعارف، ولم‌يتوقّف نشاط الشيعة فى ذلك المجال، فواصل

ص: ۸۱

الأئمّـة من بعده عليهم وعليه السـلام- فى حياتهم تربية شـيعتهم، فشـحذوا عقولهم بالدعوة إلى التدّبر والتفكّر فى المعارف حتى تربّى فى مدرستهم عمالقة الفكر من عصر سيد الساجدين(ع) إلى عصر الإمام العسكرى(ع).

و من هؤلاء: زرارة بن أعين ومحمـد بن على بن نعمان بن أبى طريفـة البجلّى الّذى يلقّب ب- «مؤمن الطاق» وهشام بن الحكم وقيس الماصر الذى تعلّم الكلام من على بن الحسين(ع) والفضل بن شاذان بن خليل أبومحمد الأزدى النيشابورى وشيخنا المفيد(۳۳۶- ۴۱۳ ه).

و بعد أودّ أن اشير إلى بعض أساتذة الفلسفة:

الشيخ أبوعلى بن سينا:(۳۷۰- ۴۲۸ ه.) أكبر فيلسوف إسلامى شيعى ظهر فى المشرق، وقد ذاع صيته شرقاً وغرباً.

نصيرالدين الطوسى(۵۹۷- ۶۷۲ ه.).

الشيخ كمال‌الدين. ميثم بن على بن ميثم البحرانى(۶۳۶- ۶۹۹ ه.)، له «قواعد المرام فى الكلام».

العلّامة الحلّى(۶۴۸- ۷۲۶ ه.)، له «الجوهر النضيد» وكشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد شيخ الطوسى.

قطب‌الدين الرازى(ت ۷۶۶ ه.) تلميذ العلّامة الحلّى

ص: ۸۲

واستاذ الشهيد الأوّل

إلى غير ذلـك كالفاضل المقـداد(ت ۸۰۸ ه.)، والسـيد محمـدباقر المعروف بالداماد(ت ۱۰۴۰ ه.) وتلميـذه المعروف بصدرالمتألهين مؤلّف الأسفار الأربعة(۹۷۱- ۱۰۵۰ ه.) وغيرهم حتّى عصرنا الحاضر.

رابع عشر: قدماء الشيعة والعلوم الكونية:

إنّ بيت آل نوبخت بيت شـيعى عريق، فقـد قاموا بترجمة الكثير من كتب العلوم والمعرفة من اللغة الفارسـية إلى العربية، كما برع منهم من له باع طويل فى كثير من العلوم ومنها العلوم الكونية والنّجوم.

- أبوعلى أحمـد بن محمـد بن يعقوب بن مسـكويه: من أعيـان الشـيعة وأعلاـم فلاسـفتهم، صـنّف فى علوم الأوائـل، وله تعليقات فى المنطق ومقالات جليلة فى أقسام الحكمة والرياضة.

- جابر بن حيان(رحمة الله): فى علم الكيمياء.

- المحقق الطوسى(رحمة الله): فى علم الفلك.

- أحمد بن أبى يعقوب بن واضح: هو أوّل جغرافى فى العرب.

- أبوالحسن على بن الحسين المسعودى(ت ۳۴۶ ه.) فقد ألّف فى التاريخ والجغرافية وتقويم البلدان.

ص: ۸۳

بلدان الشيعة وأماكن تواجدهم

ينتشر الشيعة فى جميع أنحاء العالم بنسب مختلفة، وربّما تعدّ بعض البلدان معقل الشيعة ومزدحمها حيث يكون المذهب السائد فيها هو مذهب التشيّع فى حين تتفاوت هذه النسبة فى بلدان اخرى. وإليك أسماء بعضها، وهى:

إيران والعراق وسورية والسعودية وتركيا وأفغانستان والباكستان والهند واليمن ومصر والإمارات العربية المتّحدة والبحرين والكويت وعمان والتّبت والصين وآذربيجان وطاجيكستان وباقى الجمهوريات المتحرّرة بانحلال الاتحاد السوفيتى، وماليزيا وأندونيسيا وسيلان وتايلند وسنغافورة وشمال أفريقيا والصومال والأرجنتين وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وألبانيا والولايات المتحدة وكندا وغيرها من الدول المختلفة الّتى يضيق المجال بحصرها.

إنّ فى هذه الشريعة الغرّاء من سمات العدل والمساواة ورفض التمييز العنصرى والنظام الطبقى وأنّ الناس فيه كأسنان المشط لافضل لأعجمى على عربى ولا لعربى على أعجمى إلّا بالتقوى، فكان ذلك هو الدافع المهمّ للشعوب للدخول فى

ص: ۸۴

الإسلام والانضواء تحت رايته، من غير فرق بين قوم دون قوم وشعب دون شعب. وإنّ السبب الحقيقى لولائهم وجنوحهم إلى أهل البيت هو أنّهم شاهدوا أنّ علياً وأهل بيته خلافاً للخلفاء عامّتهم يكافحون فكرة القومية ويطبّقون المساواة، فكان ذلك نواة لبذر الولاء فى قلوب بعضهم، يرثه الأبناء من الآباء وإن لم يكن الحب يوم ذاك ملازماً للقول بخلافتهم عن الرسول وإمامتهم بعده، بل كان حبّاً ووداً خالصاً لأسباب نفسية لا قيادية

نسأله سبحانه أن يرفع كلمة التوحيد فى ربوع العالم، ويوفّق المسلمين لتوحيد الكلمة ورصّ الصفوف، إنّه على ذلك لقدير.

ص: ۸۵

الفصل الرابع: مع الشيعة الإمامية فى عقائدهم

تمهيد:

إنّ المناهـج الكلامية فرّقت المسـلمين إلى مذاهب، حدثت فى أواخر القرن الأول الهجرى، واسـتمرّت فى القرون التالية، فنجمت عنها فرق إسـلامية مختلفة كالمرجئة والجهمية والمعتزلة والحشوية والأشـعرية والكرامية بفرقهم المتشـعّبة فإنّ المرء لايجد لها تاريخاً متّصلًا بزمن النبى الأكرم(ص)، فالخوارج مثلًا كانوا فرقة سياسـية نشأت فى عام(۳۷ ه.) أثناء حرب صـفّين ثمّ تبدّلت إلى فرقة دينية فى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى، والمرجئة ظهرت فى الأوساط الإسلامية عند اختلاف

ص: ۸۶

النّاس فى الخليفة عثمان والإمام على، ثمّ تطوّرت إلى معنى آخر، وكان من حصيلة التطوّر هو تقديم الإيمان وتأخير العمل!

و الجهمية نتيجة أفكار «جهم بن صفوان» المتوفّى سنة(۱۲۸ ه.).

و المعتزلة تستمدّ اَصولها من واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصرى المتوفّى عام(۱۳۰ ه.)، وهكذا القدرية والكرامية والظاهرية والأشعرية، فجميعها فرق نتجت عن البحث الكلامى وصقلها الجدل عبر القرون، فلاتجد لهذه الفرق سنداً متصلًا بالنبى الأكرم(ص)؛

و أمّا عقائد الشيعة الإمامية فعلى النقيض من ذلك، ولا صلة فى نشأتها بينها وبين تلك الفرق؛ لأنّها اخذت أساساً من مصادر التشريع الحقيقية للإسلام، وهى: الذكر الحكيم أوّلًا، والسّنة النبوية ثانياً، وخطب الإمام على(ع) وكلمات العترة الطاهرة(عليهم السلام) الصادرة من النّبى الأكرم(ص) ثالثاً. فلأجل ذلك يحدّد تاريخ عقائدهم بتاريخ الإسلام وحياة أئمّتهم الطاهرين.

إلّا أنّ الأمر الجدير بالذكر هو أنّ المرتكز الأساسى لبناء العقيدة الخاصّة بالشيعة الإمامية هو الاعتقاد بأنّ الإمام علياً منصوص عليه بالوصاية الخاصة على لسان النبى الأكرم(ص)

ص: ۸۷

وأنّه وعترته الطاهرة هم المرجع الأعلى بعد الذكر الحكيم، وهذا هو العنصر المقوّم للتشيع.

و أمّا سائر الاصول فإنّها عقائد إسلامية لاتختصّ بالشيعة الإمامية وحدها.

الفرق بين الشيعة الإمامية والمعتزلة

إنّ المتأمل فى مجمل عقائد هاتين الفرقتين يمكنه أن يتبيّن بوضوح جوانب الاتّفاق والاختلاف بينهما:

الشفاعة: قالت الإمامية والأشاعرة: إنّ النبى(ص) يشفع لأهل الكبائر بإسقاط العقاب عنهم أو بإخراجهم من النّار؛ وقالت المعتزلة: لايشفع(ص) إلّا للمطيعين المستحقّين للثواب، وتكون نتيجة الشفاعة ترفيع الدرجة.

مرتكب الكبيرة: هو عند الأمامية والأشاعرة مؤمن فاسق، وقالت المعتزلة: بل منزلته بين المنزلتين، أى بين الكفر والإيمان.

الجنّة والنار: قالت الإمامية والأشاعرة: إنّهما مخلوقتان الآن بدلالة الشرع على ذلك، وأكثر المعتزلة يذهب إلى أنّهما غير موجودتين.

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: اتّفق المسلمون على

ص: ۸۸

وجوبهما؛ فقالت الإمامية والأشاعرة: يجبان سمعاً، ولولا النصّ لم يكن دليل على الوجوب، خلافاً للمعتزلة الذين قالوا: بوجوبهما عقلًا.

الإحباط: اتفقت الإمامية والأشاعرة على بطلان الإحباط، وقالوا: لكلّ عمل حسابه الخاصّ، ولاترتبط الطاعات بالمعاصى ولاالمعاصى بالطاعات، والإحباط يختصّ بذنوب خاصّية كالشرك وما يتلوه، بخلاف المعتزلة حيث قالوا: إنّ المعصية المتأخرة تسقط الثواب المتقدّم فمن عبدالله طول عمره ثمّ كذب فهو كمن لم‌يعبد الله أبداً!

الشرع والعقل: تشدّدت المعتزلة فى تمسّكهم بالعقل، وتشدّد أهل الظاهر فى تمسّكهم بظاهر النصّ، وخالفهما الإمامية.

اتفقت الإمامية والأشاعرة على أنّ قبول التوبة بفضل من الله، ولايجب عقلًا إسقاطها للعقاب، وقالت المعتزلة: إنّ التوبة مسقطة للعقاب على وجه الوجوب.

اتّفقت الإمامية على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك.

اتّفقت الإمامية على أنّ الإنسان غير مسيّر ولا مفوّض إليه، بل هو فى ذلك المجال بين الأمرين، بين الجبر والتفويض،

ص: ۸۹

وأجمعت المعتزلة على التفويض.

اتفقت الإماميـة والأشاعرة على أنّه لابـدّ فى أوّل التكليف وابتـدائه من رسول، وخالفت المعتزلة وزعموا أنّ العقول تعمل بمجرّدها عن السمع.

هذه هى الاصول التى خالفت الإمامية فيها المعتزلة، ووافقت فيها الأشاعرة.

الفرق بين الشيعة الإمامية والأشاعرة

هناك اصول خالفت الإمامية فيها الأشاعرة، مخالفة بالدليل والبرهان وتبعاً لأئمتهم. ونذكر المهّم منها:

۱- اتّحاد [عينية] الصفات الذاتية مع الذات: إنّ لله سبحانه صفات ذاتية كالعلم والقدرة، فهى عند الأشاعرة صفات قديمة مغايرة للذات زائـدة عليها، وهى عنـد الإمامية عين الذات، وعند المعتزله الذات معطّلة من الصـفات والذات نائبة مناب الصـفات، بمعنى أنه ليس لها علم ولكن فعلها عن علم وليس لها قدرة ولكن فعلها عن قدرة.

۲- الصـفات الخبريـة الواردة فى الكتاب والسـنّة، كالوجه والأيدى والاسـتواء وأمثالها، فالشـيعة الإمامية يؤوّلونها تأويلًا مقبولًا، لا تأويلًا مرفوضاً، أى إنّ معنى:(بَلْ يَداهُ

ص: ۹۰

مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ) (۱) أنّه بریءٌ من البخل، بل هو باذل وسخی وقادر علی البذل؛ وأمّا الأشاعرة وأهل الحديث والحنابلة فهم يفسّرونها بالمفهوم التصوّری ويقولون: إنّ لله سبحانه يدين، إلّا أنّهم يتهرّبون عن التجسيم والتشبيه بقولهم: بلا كيف أو لا كأيدينا!

۳– أفعال العباد عند الإمامية صادرة من نفس العباد، فالإنسان هو الفاعل لأفعاله بقدرة مكتسبة من الله، وإنّ قدرته المكتسبة هی المؤثّرة بإذن من الله سبحانه.

و أمّا الأشاعرة فذهبوا إلی أنّ أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه، فليس للإنسان فيها صنع ولا دور وليس لقدرته أیّ تأثير فی تحقّق الفعل، وأقصی ما عندهم أنّ إرادة الإنسان للعقل تقارن إيجاد الله سبحانه فعله فی عالم التكوين والوجود، فقالوا: «إنّ الله هو الخالق، والإنسان هو الكاسب» إلّا أنّها نظرية غريبة غير مفهومة ومليئة بالألغاز التی عجز عن فهمها وإيضاحها حتّی مبتدعوها أنفسهم!

۴– إنّ الاستطاعة فی الإنسان علی فعل من الأفعال تقارنه تارة وتتقدّم عليه أخری، فلو أريد من القدرة: العلّة التّامة فهی

۱– مائده: ۶۴.

ص: ۹۱

مقارنة، ولو أريد العلة الناقصة فهى متقدّمة، خلافاً للأشاعرة فقد قالوا بالتقارن مطلقاً.

۵- رؤية الله بالأبصار فى الآخرة: فهى مستحيلة عند الإمامية والمعتزلة، ممكنة عند الأشاعرة.

۶- كلامه سبحانه عند الإمامية هو فعله، فهو حادث لاقديم، وهذا خلافاً للأشاعرة: فكلامه عبارة عن الكلام النفسى القائم بذاته، فهو قديم كقدم الذات.

۷- التحسين والتقبيح العقليان: ذهبت الإمامية إلى أنّ العقل يدرك حسن بعض الأفعال أو قبحها، بمعنى أنّ نفس الفعل من أىّ فاعل صدر، سواء أكان الفاعل قديماً أو حادثاً، واجباً أو وممكناً، يتّصف بأحدهما ويتلّقاه حكماً مطلقاً سائداً على مرّ الحقب والأزمان، لا يغيّره شىءٌ؛ وهذا خلافاً للأشاعرة، فقد عزلوا العقل عن إدراك الحسن والقبيح، وبذلك خالفوا الإمامية والمعتزلة فى الفروع المترتّبه عليه.

هذا، وإنّ الشيعة وإن خالفوا فى هذه الاصول طائفة من الطوائف الإسلامية ووافقوا طوائف اخرى، ولكن هناك اصول اتّفق الجميع فيها دون استثناء، أفما آن للمسلمين أن يتّحدوا فى ظلّ هذه الاصول المؤلّفة لقلوبهم، ويستظلّوا بظلالها ويتمسّكوا

ص: ۹۲

بالعروة الوثقى، ولا يصغوا إلى النعرات المفرّقة المفترية على الشيعة وأئمتهم؟!

الفرق بين الشيعة الإمامية وسائِر الفرق

إذا تعرّفت على الفوارق الموجودة بين الشيعة وبعض طوائف المسلمين؛ فهلمّ معى إلى الفوارق الجوهرية بينهم وبين سائر الطوائف التى صيّرتهم إلى الفرقتين متمايزتين واكثرها يرجع إلى مسألة القياده والخلافة بعد الرسولالأكرم(ص)، فنأخذ بالبحث عنها على وجه الإجمال.

المسألة الاولى: «وجوب تنصيبالإمامعلى اللهسبحانه»

تتّفق جميع الفرق الإسلامية على أصل وجوب نصب الإمام سوى العجاردة من الخوارج ومنهم حاتم الأصمّ أحد شيوخ المعتزلة(ت ۲۳۷ ه‍).

فالشيعة يذهبون إلى وجوبه على الله تعالى، وباقى الفرق على الامّة!

و ليس المراد من وجوبه على الله سبحانه هو إصدار الحكم من العباد على اللهسبحانه حتّى يقال(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (۱)، بل

۱- يوسف: ۴۰.

ص: ۹۳

المراد كما ذكرنا غير مرّة: أنّ العقل- حسب التعرّف على صفاته سبحانه، من كونه حكيماً غير عابث- يكشف عن كون مقتضى الحكمة هو لزوم النصب، فالعباد أقصر من أن يكونوا حاكمين على الله سبحانه.

ثم إنّ اختلاف المسلمين فى كون النصب فرضاً على الله أو على الأمّة ينجم عن اختلافهم فى حقيقة الخلافة والإمامة عن رسول الله(ص)، فمن ينظر إلى الإمام بوصفه رئيس دولة ليس له وظيفة إلّا تأمين الطرق والسبل وتوفير الأرزاق وإجراء الحدود والجهاد فى سبيل الله إلى غير ذلك ممّا يقوم به رؤساء الدول بأشكالها المختلفة، فقد قال بوجوب نصبه على الأمّة، إذ لا يشترط فيه من المواصفات إلّا الكفاءة والمقدرة على تدبير الامور، وهذا ما يمكن أن تقوم به الأمّة الإسلامية.

و أمّا على القول بأنّ الإمامة استمرار لوظائف الرسالة، فمن المتّفق عليه أنّ تعهّد هذا الأمر يتوّقف على توفّر صلاحيات عالية لا ينالها الفرد إلّا إذا حظى بعناية إلهيّة خاصّة، فيخلف النبى فى علمه بالاصول والفروع وفى سدّ جميع الفراغات الحاصلة بموته، ومن المعلوم أنّ هذا الأمر لاتتعرّف عليه الأمّة إلّا عن طريق الرسول، ولا يتوفّر وجوده إلّا بتربية غيبّية

ص: ۹۴

وعنايـة سـماوية خاصّـة. وهكـذا فمن جعلها سـياسة زمنية وقتية يشـغلها فرد من الأمّة بأحد الطرق قال فى حقه: «بأنّ الإمام بعد الرسول أشـبه برئيس الدولـة أو أحـد الحكام وتنتخبه الأمّة الإسـلامية ... ولانرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولاـننزع يـداً من طـاعتهم، ونرى طـاعتهم من طاعـة الله فريضـة ما لم‌يؤمروا بمعصـية، ونـدعو لهم بالصـلاح والمعافاة؛ والحـجّ والجهاد ماضيان مع اولى الأمر من المسلمين برّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، ولا يبطلهما شىءٌ ولاينقضهما (۱)»

و قـد اسـتدلّت الإمامية على وجوب نصب الإمام على الله سبحانه بأنّ: وجود الإمام الذى اختاره الله سـبحانه مقرّب من الطاعات ومبعّد عن المعاصـى. ثمّ إنّك قـد تعرّفت على أنّ الرّسول الأكرم(ص)- وبوحى من الله سـبحانه- قام بنصب إماماً للأمّـة ليقود أمرهم ويسـدّ جميع الفراغـات الحاصـلة بلحوقه بـالرفيق الأـعلى وبـذلك حسم مـادة النزاع وقطع الطريق على المشاغبين، ولكنّه- وللأسف- تناسـت الأمّة وصية الرسول(ص) وأمره.

۱- العقيدة الطحاوية: ۳۸۷ ۳۷۹ و ....

ص: ۹۵

المسألة الثانية: «عصمة الإمام»

اشارة

تفرّدت الإمامية من بين الفرق الإسلامية بإيجابها عصمة الإمام من الذّنب والخطأ، مع اتّفاق غيرهم على عدمها.

حقيقة العصمة

العصمة قوة تمنع صاحبها من الوقوع فى المعصية والخطأ، حيث لايترك واجباً ولا يفعل محرّماً، مع قدرته على الترك والفعل، و إلّا لم يستحق مدحاً ولاثواباً. وإن شئت قال: إنّ المعصوم قد بلغ من التقوى حدّاً لا تتغلّب عليه الشهوات والأهواء وبلغ من العلم فى الشريعة وأحكامها مرتبة لا يخطأ معها أبداً.

و ليست العصمة فكرة ابتدعتها الشيعة، وإنّما دلّهم عليها فى حقّ العترة الطاهرة كتاب الله وسنّة رسوله، قال سبحانه:(إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا) (۱)، وليس المراد من الرجس إلّا الرجس المعنوى، وأظهره هو الفسق.

۱- الأحزاب: ۳۳.

ص: ۹۶

و قال رسول الله(ص):

«على مع الحقّ والحقّ مع على يدور معه كيفما دار»

و من دار معه الحقّ كيفما دار محال أن يعصى أو أن يخطأ؛ وقوله فى حقّ العترة،

«إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً»

، فإذا كانت العترة عدل القرآن والقرآن هو كلام الله تعالى، فمن المنطقى أن تكون معصومة حتى لا يخالف أحدهما الآخر.

«الدليل على لزوم عصمة الإمام بعد النبى (ص)»

يمكن الاستدلال على لزوم العصمة فى الإمام بوجوه متعدّدة نورد أهمّها:

الوجه الأوّل: إنّ الإمامة إذا كانت استمراراً لوظيفة النبوّة والرسالة وكان الإمام يملأ جميع الفراغات الحاصلة جرّاء رحلة النبى الأكرم(ص) فلامناص من لزوم عصمته؛ وذلك لأنّ الغاية هى هداية الأمّة إلى الطريق المهيع، ولايحصل ذلك إلّا بالوثوق بقوله والاطمئنان بصحّة كلامه، فإذا جاز على الإمام الخطأ والنسيان والمعصية والخلاف ضعفت ثقة الناس به، فتنتفى الغاية من نصبه.

الوجه الثانى: قوله سبحانه:(أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ

ص: ۹۷

وأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ) (۱) والاستدلال مبنى على دعامتين:

۱- إنّ الله سبحانه أمر بطاعة اولى الأمر على وجه الإطلاق، ولم‌يقيد وجوب امتثال أوامرهم ونواهيهم بشىءٍ.

۲- إنّ من البديهى كونه سبحانه لايرضى لعباده الكفر والعصيان. (۲) من غير فرق بين أن يقوم به العباد ابتداءً من دون تدخّل أمر آمر ونهى ناهٍ أو يقدمون عليه بعد صدور أمر ونهى من اولى الأمر.

فستكشف من إطلاق الأمر بالطاعة اشتمال المتعلّق على خصوصية تصدّه عن الأمر بغير الطاعة، وممّن صرّح بدلالة الآية على العصمة الإمام الرازى فى تفسيره؟! (۳) الوجه الثالث: قوله سبحانه:(وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّى جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ ومِنْ ذُرِّيَّتِى قالَ لا يَنالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ). (۴) والاستدلال بالآية على عصمة الإمام يتوقّف على تحديد مفهوم الإمامة الواردة فى الآية وأنّ المقصود منها غير النّبوة والرسالة؛ لانّ إبراهيم كان نبياً ورسولًا وقائماً

۱- نساء: ۵۹.

۲- زمر: ۷.

۳- مفاتيح الغيب: ۱۰/ ۱۴۴.

۴- بقره: ۱۲۴.

ص: ۹۸

بوظائفهما طيلة سنين حتى خوطب بهذه الآية، فالمراد من الإمامة فى المقام هو منصب القيادة وتنفيذ الشريعة فى المجتمع بقوّة وقدرة. وحكومة إلهية يبلغ المجتمع بها إلى السعادة.

ما هو المراد من الظالم؟

أنّ الإمامة منصب إلهى لاينـاله الظـالمون؛ لأنّ الإمام هو المطاع بين الناس المتصرّف فى الأموال والنفوس، فيجب أن يكون على الصراط السوى، والظالم المتجاوز عن الحدّ لايصلح لهذا المنصب؛ كما أنّ الظالم الناكث لعهدالله والناقض لقوانينه وحدوده على شفا جرف هارٍ لايؤتمن عليه ولاتلقى إليه مقاليد الخلافة؛ لانّه على مقربة من الخيانة والتعّدى وعلى استعداد لأن يقع أداة للجائرين. إنّ المتلبس بالظلم- ولو آناً ما- يسلب عن الإنسان صلاحية الإمامة وإن تاب من ذنبه؛ فإنّ الناس بالنسبة إلى الظلم على اقسام أربعة:

۱- من كان طيلة عمره ظالماً.

۲- من كان طاهراً ونقياً فى جميع فترات عمره.

۳- من كان ظالماً فى بداية عمره وتائباً فى آخره.

۴- من كان طاهراً فى بداية عمره وظالماً فى آخره.

ص: ۹۹

إنّ من غير المعقول والبديهى أن يسأل خليل الله تعالى الإمامة لأصحاب القسمين الأوّل والرابع من ذرّيته، لوضوح أنّ الغارق فى الظلم من بداية عمره إلى آخره أو المتّصف به أيام تصدّيه للإمامة لايصلح أن يؤتمن عليها.

و لمّا كان الله تعالى قد نفى امتلاك الإمامة من قبل الظالم مطلقاً حتى لو كان الظالم فيما سبق وهو القسم الثالث، فلا مناص من الجزم بتعلّقها بالقسم الثانى وحده دون باقى الأقسام.

العصمة فى القول والرأى

إنّ الأئمّة معصومون عن العصيان والمخالفة أوّلًا وعن الخطأ والزلّة فى القول ثانياً، وما ذلك إلّا لأنّ كلّ إمام من الأوّل إلى الثانى عشر قد أحاط إحاطة شاملة كاملة بكلّ ما فى هذين الأصلين، بحيث لا يشذّ عن علمهم معنى آية من آى الذكر الحكيم تنزيلًا وتأويلًا، ولاشىء من سنّة رسول‌الله(ص) قولًا وفعلًا وتقريراً، وكفى بمن أحاط بعلوم الكتاب والسّنة فضلًا وعلماً وقد أخذ أهل البيت(عليهم السلام) علوم الكتاب والسّنة وفهموها عن رسول الله(ص) تماماً كما أخذها ووعاها رسول الله(ص) عن جبرئيل وكما وعاها جبرئيل عن الله، ولافرق أبداً فى شىءٍ إلّا بالواسطة، ومنهم انتقلت هذه العلوم إلى الآخرين.

ص: ۱۰۰

المسألة الثالثة: «الإمام المنتظر [»

إنّ جميع المسـلمين يتفقون أساساً على فكرة قيام المهدى وما سيعمّ الأرض فى عهده من العدل والأمن والخير العميم وإن كان هناك اختلاف ما يذكر فى مضـمون هذا الأمرالعظيم؛ فإنّ الأكثرية من أهل السّـنة يقولون بأنّه سيولد فى آخرالزمان، وأمّا الشيعة ولاستنادهم على جملة واسعة من الروايات والأدلة الصحيحة يذهبون إلى أنّه ولد فى «سرّ من رأى» عام ۲۵۵ ه. وهو يحيى حياة طبيعية كسائرالناس غير أنّ الناس يرونه ولايعرفونه، وسوف يظهره الله سبحانه ليحق عدله. (۱)

المسألة الرابعة: التقية

اشارة

«مفهومها، غايتها، دليلها، حدّها فى ضوء الكتاب والسنّة»

التقيـة، اسم ل- «اتّقى؛ يتّقى» والتاء بـدل من الواو، وأصـله من «الوقايـة»، ومن ذلك إطلاق التقوى على إطاعة الله، لأنّ المطيع يتّخذها وقايـة من النّار والعـذاب، والمراد هو التحفّظ عن ضـرر الغير بموافقته فى قول أو فعل، مخالف للحقّ، وهو إظهار الكفر وإبطان الإيمان أو التظاهر بالباطل وإخفاء الحقّ، فهى تقابل

۱- نور: ۵۵، الأنبياء: ۱۰۵ وقصص: ۵.

ص: ۱۰۱

النفاق؛ فانّ النفاق عبارة عن إظهار الإيمان وإبطان الكفر والتظاهر بالحقّ وإخفاء الباطل.

«غايتها»

الغايـة من التقيـة: هى صـيانة النّفس والعِرض والمال؛ وذلك فى ظروف قاهرة لايسـتطيع فيها المؤمن أن يعلن عن موقفه الحقّ صـريحاً خوفاً من أن يترتّب على ذلك مضارّ وتهلكة من قوى ظالمة غاشـمة، كلجوء الحكومات الظالمة إلى الإرهاب والتشـريد والنفى والقتل والتنكيل ومصادرة الأموال وسلب الحقوق الحقّة، فلا يكون لصاحب العقيدة الذى يرى نفسه محقّاً محيص عن إبطانها إلى أن يحدث الله بعـد ذلك أمراً، كما كان عليه مؤمن آل فرعون الـذى حكاه سبحانه فى الـذكر الحكيم. (۱) فإذا كان هـذا معنى التقية ومفهومها وكانت هـذه غايتها وهـدفها، فهو أمر فطرى يسوق الإنسان إليه قبل كلّ شـىءٍ عقله ولبّه، وتدعوه إليه فطرته؛ ولأجل دعم هذا الأصـل الحيوى ندرس دليله من القرآن والسّنة.

۱- قصص: ۲۰.

ص: ۱۰۲

«دليلها فى القرآن والسنّة»

... الآيـة الاولى:(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمانِ ولكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ ولَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ) (۱) ترى أنّه سبحانه بجوّز إظهار الكفر كرهاً ومجاراةً للكافرين خوفاً منهم بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، قال الطبرسى(رحمهٔ الله): قد نزلت الآيهٔ فى جماعهٔ اكرهوا على الكفر وهم عمّار وأبوه ياسر وأمّه سميّه.

الآيـهٔ الثانيـهٔ: قـال سبحانه:(لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ ... إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً ويُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (۲)، وكلمـات المفسّرين حول الآيـهٔ تغنينـا عن أىّ توضيح. قال الزمخشرى: رخّص لهم فى موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاهٔ: مخالفهٔ ومعاشرهٔ ظاهرهٔ والقلب مطمئنّ بالعداوهٔ والبغضاء وانتظار زوال المانع.

الآيهٔ الثالثهٔ: قال تعالى:(وقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ ... فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا وحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ

۱- نحل: ۱۰۶.

۲- آل عمران: ۲۸.

ص: ۱۰۳

سُوءُ الْعَذابِ) (۱) وما كان ذلك إلّا لأنّه بتقيته إستطاع أن ينجى نبى الله من الموت.

«الظروف العصيبة الّتى مرّت بها الشيعة»

اشارة

الّذى دفع بالشيعة إلى التقية بين إخوانهم وأبناء دينهم إنّما هوالخوف من السلطات الغاشمة؛ فلو لم يكن هناك فى غابرالقرون- من عصرالأمويين ثمّ العباسيين والعثمانيّين أىّ ضغط على الشيعة، ولم تكن بلادهم وعقر دارهم مخضبة بدمائهم والتاريخ خير شاهد على ذلك، فهل من المعقول أن تنسى الشيعة كلمة التقية وأن تحذفها من ديوان حياتها ولكن يالّلأسف!

قال العلّامة الشهرستانى: إنّ التقية شعار كلّ ضعيف مسلوب الحرّية، إنّ الشيعة قد اشتهرت بالتقية أكثر من غيرها، لأنّها منيت باستمرار الضغط عليها أكثر من أيّة أمّةٍ اخرى ... ولأجله استشعروا بشعار التقية أكثر من أىّ قوم؛ ... متبعة فى ذلك سيرة الأئمّة من آل محمد(عليهم السلام) وأحكامهم الصارمة حول وجوب التقية من قبيل: ما روى عن صادق آل البيت(عليهم السلام) فى الأثر الصحيح: «التقية دينى ودين آبائى» و «من لاتقية له لا دين له».

۱- غافر: ۲۸.

ص: ۱۰۴

حدّ التقية

إنّ مجال التقيـة إنّما هو فی حـدود القضايا الشخصـية الجزئيـة عنـد وجود خوف علی النفس والنفيس، وأمّا الأمور الكلّية الخارجة عن إطار الخوف فلا تتصوّر فيها التقية.

و الحاصل: أنّ الشـيعة إنّما كانت تتّقی فی عصـر لم تكن لهم دولـة تحميهم ولا قدرة ولا منعة تدفع عنهم الأخطار، وأمّا هذه الأعصار فلا مسوّغ ولا مبرّر للتقية إلّا فی موارد خاصّة؛ إذ أنّ الشيعة لم تلجأ إلی التقية إلّا بعد أن اضطرّت إلی ذلک.

«التقية المحرّمة»

إنّ التقيـة تنقسم حسب الأحكام الخمسة، فكما أنّها تجب لحفظ النفوس والأعراض والأموال، فإنّها تحرم إذا ترتّب عليها مفسدة أعظم كهـدم الـدين وخفاء الحقيقـة علی الأجيال الآتيـة وتسلّط الأعـداء علی شؤون المسـلمين وحرماتهم ومقـدّساتهم؛ فالتقية أمام الحاكم الجـائر كيزيـد بن معاويـة مثلًا محرّمـة، إذ فيها الـذلّ والهوان ونسـيان المثل والرجوع إلی الوراء، فليست التقيـة فی جوازها ومنعها تابعة للقوّة والضعف، وإنّما تحدّدها جوازاً ومنعاً مصالح الإسلام والمسلمين.

ص: ۱۰۵

و من هـذا البـاب مـا إذا كـان المتقّى ممّن له شأن وأهميـة فى نظر الخلق، بحيث يكون ارتكابه لبعض المحرّمات تقيـة أو تركه لبعض الواجبات كـذلك ممّا يعـدّ موهناً للمـذهب وهاتكاً لحرمه؛ فانّ التقيـة فى مثلها غير جائزة، ضـرورة أنّ تشـريعها لبقاء المـذهب وحفظ الأصول وجمع شـتات المسـلمين لإقامة الدين واصوله، فإذا بلغ الأمر إلى هدمها فلا تجوز التقية، وهى فيما إذا كان الخوف قائماً، وأمّا إذا ارتفع الخوف والضغط فلا موضع للتقية لغاية الصيانة.

نحن ندعو المسلمين للتّأمل فى الدواعى الّتى دفعت بالشيعة إلى التقية، وأن يعلموا قدر الإمكان على فسح المجال لإخوانهم فى الدين، فإنّ لكلّ فقيه مسـلم رأيه ونظره وجهـده وطاقته. إنّ الشـيعة يقتفون أثر أئمّـة أهل البيت فى العقيدة والشـريعة ويرون رأيهم؛ لأنّهم هم الـذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأحـد الثقلين اللّـذين أمر الرسول بالتمسّـك بهما فى مجال العقيـدة والشـريعة، وهما حجة على الجميع!

المسألة الخامسة: «البداء عند الشيعة الإمامية»

اشارة

لتوضيح حقيقة البداء نأتى بمقدّمات:

المقدمة الأولى: اتّفقت الشيعة على أنه سبحانه عالم بالحوادث

ص: ۱۰۶

كلّها غابرها وحاضرها ومستقبلها، لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السّماء، فلا يتصوّر فيه الظهور بعد الخفاء ولا العلم بعد الجهل، ويدلّ عليه الكتاب والسّنۀ، مضافاً إلى البراهين الفلسفيۀ المقررّۀ فى محلّها:

أمّا من الكتاب: قوله سبحانه:(ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ ولا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ). (۱) و أمّا الأخبار: قال الإمام موسى الكاظم(ع): لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء.»

و أمّا العقل: فقد دلّ على امتناع البداء عليه بمعنى الظهور بعد الخفاء؛ لاستلزامه كون ذاته محلّاً للتغيّر والتبدّل المستلزم للتركيب والحدوث إلى غير ذلك ممّا يستحيل عليه سبحانه.

المقدّمۀ الثانيۀ: كما دلّت الآيات والأحاديث على أنّه سبحانه لم‌يفرغ من أمر الخلق والإيجاد والتدبير والتربيۀ، دلّت على أنّ مصير العباد يتغيّر بحسن أفعالهم وصلاح أعمالهم، من الصدقۀ والإحسان وصلۀ الأرحام وبرّ الوالدين من الأمور الّتى تغيّر

۱- الحديد: ۲۲.

ص: ۱۰۷

المصیر وتبدّل القضاء، کما أنّ المحرّم الأعمال وسیئها من قبیل البخل والتقصیر وسوءالخلق وقطیعهٔ رحم تأثیراً فی تغییر مصیرهم. فلیس للإنسان مصیر واحد ومقدّر فارد، یصیبه علی وجه القطع والبتّ، وینالـه شاء أو لم یشأ. وهذا ممّا لا یمکن لمن له أدنی علاقهٔ بالکتاب والسنّهٔ.

البداء فی مقام الثبوت

إنّ حقیقهٔ البداء أنّه سبحانه- علی خلاف ما اعتقده الیهود والنصاری فی حقه (۱)- یداه مبسوطتان(فی کلّ شیءٍ) یمحو ویثبت حسب مشیئته الحکیمهٔ وإرادته النافذهٔ، ومن شعب هذا الأمر هو أنّه سبحانه: یزید فی الرزق والعمر وینقص منهما (۲) وینزل الرحمهٔ والبرکهٔ کما ینزل البلاء والنقمهٔ، ولاتصدر عنه الأمور جزافاً واعتباطاً، بل حسب ما تقتضیها حال العباد من حسن الأفعال وقبحها وصالح الأعمال وطالحها؛ فرّبما یکون الإنسان مکتوباً فی الأشقیاء، ثم یُمحی فیکتب فی السعداء أو علی العکس بسبب ما یقوم به من أعمال؛ وبناء علی ذلک

۱- مائده: ۶۴.

۲- فاطر: ۱ و ۱۱، النحل: ۱۱۲، الأعراف: ۹۶، الطلاق: ۳.

ص: ۱۰۸

فالبداء بهذا المعنی ممّا يشترک فيه كلّ المسلمين، علی مذاهبهم المختلفة، من دون اختصاص بالشيعة.

هـذا الأصـل يسـتفاد بوضوح من قوله سـبحانه:(يَمْحُوا اللّهُ مـا يَشاءُ ويُثْبِتُ وعِنْـدَهُ أُمُّ الْكِتابِ) (۱) وأنّه ليس كـلّ تقـدير حتميـاً لا يغيّر ولايبـدّل وأنّ لله سـبحانه لوحين: لوح المحو والإثبات ولوح «أمّ الكتاب»، والّـذی لايتطرّق التغيير إليه هو الثانی دون الأوّل، وأنّ القول بسـيادة القدر علی اختيار الإنسان فی مجال الطاعة والمعصية قول بالجبر الباطل بالعقل والضرورة ومحكمات الكتاب، فكما أنّه سبحانه يداه مبسوطتان، كذلک العبد مختار فی أفعاله لامسيّر وحرّ فی تصـرّفاته لا مجبور، له أن يغيّر مسـيره ومقدّره، فالله سـبحانه كما يمحو ويثبت فی التكوين فيحيي ويميت، كـذلک يمحو مصـير العبـد ويغيره حسب مـا يغيّر العبـد بنفسه(فعله وعمله)؛ لقوله سـبحانه:(إِنَّ اللَّهَ لايُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّی يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِـهِمْ) (۲) و ليس فی ذلک أیّ محذور ولا مخالفة لعقل ولا الكتاب والسـنّة، بل تغيير القضاء بحسـن الفعل وتغيير القدر بسوئه، هو أيضاً من قدره وقضائه وسننه الّتی لا تبديل لها ولا تغيير.

۱- الرعد: ۳۹.

۲- همان: ۱۱.

ص: ۱۰۹

الأثر التربوی للإعتقاد فی البداء:

الاعتقاد بالمحو والإثبات وأنّ العبـد قادر علی تغییر مصـیره بأفعاله وأعماله، یبعث الرجاء فی قلب من یریـد أن یتطهّر وینمی نواة الخیر الکامنة فی نفسه، فتشـریع البداء مثل تشریع قبول التوبة والشفاعة وتکفیر الصغائر بالاجتناب عن الکبائر کلّها لأجل بعث الرجاء وإیقاد نوره فی قلوب العصاة والعتاة حتّی لاییأسوا من روح الله.

فجمیع هذا من باب الرحمة الإلهیة لأجل بثّ الأمل فی قلب الإنسان؛ وعلی هذا فالاعتقاد بذلک من ضـروریات الکتاب وصریح آیاته وأخبارالهدایة.

«البداء فی مقام الإثبات»

لقـد أشار سـبحانه إلی لوح المحو والإثبات بقوله:(یَمْحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ ویُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ) (۱)، فالأحکام الثابتة فیه أحکام معلّقة علی وجود شـرطها أو عـدم مانعهـا، فـالتغیّر فیهـا لأجـل إعـواز شـرطها أو لوجـود مانعهـا، فمثلًا یمکن أن یکتب فیه الموت نظراً إلی مقتضیاته فی الوقت المعیّن المتّصل بالمقتضیات،

۱– الرعد: ۳۹.

ص: ۱۱۰

إلّا أنّه ربمّا يُمحى ويؤجّل ويكتب بدله توفّر الصحّة لفقدان شرط التقدير الأوّل أو طروّ مانع من تأثير المقتضى.

إذا علمت ذلك فاعلم: أنّه ربّما يتّصل النبى أو الولى بلوح المحو والإثبات فيقف على المقتضى من دون أن يقف على شرطه ومانعه، فيخبر عن وقوع شى ما، ولكنّه ربّما لايتحقّق لأجل عدم تحقّق شرطه أو عدم تحقّقه لوجود مانعه، وذلك هو البداء فى عالم الإثبات.

«تلميحات للبداء فى الذكر الحكيم:»

اشارة

۱- قال سبحانه:(قالَ يا بُنَيَّ إِنِّى أرى فِى الْمَنام أَنِّى أَذْبَحُكَ) (۱) وقوله:(وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيم) (۲).

۲- قوله سبحانه:(فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا ومَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ) (۳) ۳- قوله سبحانه:(وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (۴)

۱- الصافات: ۱۰۱.

۲- يونس: ۱۰۷.

۳- يونس: ۹۸.

۴- اعراف: ۱۴۲.

ص: ۱۱۱

هـذه جملـة الأخبار الّتی تحـدّث بها الـذکر الحکیم عن أحداث ووقائع کان النبیون قد أخبروا بحتمیة وقوعها علی حدّ علمهم، إلّا أنّها لم‌تتحقّق، وعنـدها لامناص من تفسیرها بوقوف أنبیاء الله تعالی علی المقتضـی دون العلّـة التّامـة؛ فعنـدما یظهر عدم التحقّق یطلق علیه البـداء، والمراد به أنّه بـدا من الله لنبیه وللنّاس ما خفی علیهم، علی غرار قوله سبحانه:(وَ بَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ یَکُونُوا یَحْتَسِبُونَ) (۱)، فالبـداء إذا نسب إلی الله سبحانه فهو بـدا منه، وإذا نسب إلی الناس فهو بـدا لهم؛ وبعبارة أخری: البداء من الله هو إظهار ما خفی علی الناس، والبداء من النّاس بمعنی ظهور ما خفی لهم، وهذا هو الحقّ الصراح الذی لایرتاب فیه أحد.

تتمه البحث

الأمر الأول

و بالجمله یجب أن یکون وقوع البـداء مقروناً بما یـدلّ علی صـحّة إخبار النبی(ص)، ولا یکون البـداء علی وجه یعـدّ دلیلًا علی کذبه، ففی هذه الموارد دلّت القرائن علی أنّ المخبر کان صادقاً فی خبره.

۱- زمر: ۴۷.

ص: ۱۱۲

الأمرالثانی:

إنّ البـداء لا یتحقق فیما یتعلّق بنظام النبوّة والولایـة والخاتمیـة والملاحم الغیبیـة التی تعدّ شـعاراً للشـریعة؛ لأنّ احتمال البداء فیه ناقض للحکمة وموجب لظلال العباد. وهذا ما یستحیل علی الله سبحانه؛ وانّما مصبّ البداء هو القضایا الجزئیة أو الشخصیة، کما هو الحال فی الأخبار الماضیة.

المسألة السادسة: «الرجعة فی الکتاب والسّنة»

إنّ فکرة الرجعة ممّا یشـنّع بها علی الشـیعة غیر أنّ هؤلاء نسوا أو تناسوا أنّ الرجعة بمعنی عود جماعة قلیلة إلی الحیاة الدنیویة قبل یوم القیامـة ثمّ مـوتهم وحشـرهم مجـدّداً یـوم القیامـة لیس شـیئاً یضـادّ اصول الـدین، ولیس فیه إنکـار لأیّ حکم ضـروری، ولیس القول برجعتهم إلی الدنیا یلغی بعثهم یوم القیامة، وکیف لایکون کذلک، وقد أخبر سبحانه عن رجوع جماعة إلی الحیاة الدنیویة؟! نظیر:
۱- إحیاء جماعة من بنی إسرائیل. (۱) ۲- إحیاء قتیل بنی إسرائیل. (۲)

۱- بقره: ۵۵- ۵۶.

۲- بقره: ۷۲- ۷۳.

ص: ۱۱۳

۳- موت ألوف من النّاس وبعثهم من جدید. (۱) ۴- بعث عزیر بعد مئة عام من موته. (۲) ۵- إحیاء الموتی علی ید عیسی(ع). (۳) إنّ الإعتقاد بالذکر الحکیم یجرّنا إلی القول بأنّه لیس کلّ رجوع إلی الدنیا تناسخاً، وإنّما التناسخ الباطل عبارة عن رجوع الإنسان إلی الدنیا عن طریق النطفة والمرور بمراحل التکوّن البشری من جدید لیصیر إنساناً مرّةً اخری.

اتّفقت الشیعة علی بطلان التناسخ وامتناعه غیر أنّ الرجوع إلی الدنیا من خلال دخول الروح إلی البدن الذی فارقه عند الموت لایعدّ تناسخاً، وإنّما هو إحیاء للموتی الذی کان معجزة من معاجز المسیح(ع)، وهو أمر ممکن وأنّ بعض الآیات والروایات تدلّ علی أنّه سیتحقّق، قال سبحانه:(وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَیْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُکَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ کانُوا بِآیاتِنا لا یُوقِنُونَ* ویَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ

۱- همان: ۲۴۳.

۲- همان: ۲۵۹.

۳- آل عمران: ۴۹.

ص: ۱۱۴

يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ) (۱) لايشكّ من أمعن النظر فى سياق الآيات وماذكره المفسّرون حولها فى أنّ الآية الاولى تتعلّق بالحوادث التى تقع قبل يوم القيامة، وعليه تكون الآية الثانية مكمّلة لها وتدّل على حشر فوج من كلّ جماعة قبل يوم القيامة، والحال أنّ الحشر فى يوم القيامة يتعلّق بالجميع لابالبعض.

يقول سبحانه:(وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وتَرَى الأَرْضَ بارِزَةً وحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً) (۲) و هذه الآيات تعرب عن الرجعة التى تعتقد بها الشيعة فى حقّ جماعة خاصّة، وأمّا خصوصياتها فلم يحدّث عنها القرآن الكريم، وجاء التفصيل فى السّنة.

المسألة السابعة: زواج المتعة

هو عبارة عن تزويج المرأة الحرّة الكاملة نفسها إذا لم يكن بينها وبين الزوج مانع من نسب أو سبب أو رضاع أو إحصان أو عدّة أو غيرذلك من الموانع الشرعية بمهر مسمّى إلى أجل مسمّى بالرضا والاتّفاق؛ فإذا انتهى الأجل تبين منه من غير

۱- نمل: ۸۲- ۸۳.

۲- كهف: ۴۷.

ص: ۱۱۵

طلاق، ويجب عليها مع الدخول بها إذا لم‌تكن يائسة أن‌تعتدّ عدّة الطلاق إذا كانت ممّن تحيض، وإلّا فبخمسة وأربعين يوماً. ... وقد أجمع أهل القبلة على أنّه سبحانه شرّع هذا النكاح فى صدر الإسلام، ولم‌يشكك أحدٌ فى أصل مشروعيته (۱).

وقد صحّ عن عمران بن الحصين إنّه قال «إنّ الله أنزل المتعة وما نسخها بآية اخرى وأمرنا رسول الله(ص) بالمتعة وما نهانا عنها، ثمّ قال رجل برأيه» يريد به عمر بن الخطّاب (۲).

إنّ الخليفة الثانى لم‌يدّع النسخ، وإنّما أسند التحريف إلى نفسه، ولو كان هناك ناسخ من الله عزّوجلّ أو من رسوله لأسند التحريم إليهما، وقد استفاض قول عمر وهو على المنبر: «متعتان كانتا على عهد رسول الله(ص) وأنا أنهى عنهما واعاقب عليهما متعة الحجّ ومتعة النساء. ... وحيّ على خير العمل.» وهو فى حدّ ذاته يعتبر اجتهاداً قبالة النصّ الواضح! ومن المعلوم أنّ إجتهاده- لو صحّت تسميته بالاجتهاد- حجّة على نفسه لا على غيره، على أنّ الأمر الذى ينبغى الإلتفات إليه وإدراكه بوضوح: أنّ الشيعة ورغم إدراكهم وإيمانهم بحلّية زواج المتعة

۱- نساء: ۲۳- ۲۴.

۲- صحيح البخارى: ۶/ ۲۷.

ص: ۱۱۶

وعـدم تحريمه- وهو ما يعلنون عنه صـراحةً ودون تردّد- إلّا أنّهم عملياً لايلجأون إلى هـذا الزواج إلّا فى حدود ضـيّقة وخاصّة، وليس كما يصوّره ويتصوّره البعض من كونه ظاهرة متفشية فى مجتمعهم وبشكل مستهجن ممجوج.

المسألة الثامنة: متعة الحجّ

قوله سـبحانه:(فَإِذا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَـجِّ واتَّقُوا اللَّهَ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ) (۱) صريح فى جوازالتمتّع بمحظورات الإحرام بعـد الإتيان بأعمال العمرة وقبل التوجّه إلى الحجّ، ولم‌يدّع أحد كونها منسوخة بآية أو قول أو فعل، بل أكّد النبى الأكرم(ص) تشـريعه بعمله فى العـام العاشـر من الهجرة. هـذا هو الـذكر الحكيم المـدعم بالسـنّة وإجماع الأمّـة، ومع ذلك نرى أنّ بعض الصـحابة لايروقه متعـة الحـجّ لا فى عصـر الرسالـة ولا بعـده، بل يفتى بتحريمها! وهذا هو الخليفة الثانى ومن لفّ لفّه الذين كانوا يقدّمون الآراء المزعومة على النصوص الشرعية مهما تضافرت وتواترت!

۱- بقره: ۱۹۶.

ص: ۱۱۷

المسألة التاسعة: مسح الأرجل فى الوضوء

اختلف المسلمون فى غسل الرجلين ومسحهما، فذهب الأئمة الأربعة إلى أنّ الواجب هو الغسل وحده، وقالت الشيعة الإمامية: إنّه المسح، وقال داود بن على والناصر للحقّ من الزيدية: يجب الجمع بينهما، وهو صريح الطبرى فى تفسيره، ونقل عن الحسن البصرى: أنّه مخيّر بينهما!

و ممّا يثيرالعجب اختلاف المسلمين فى هذه المسألة، مع أنّهم رأوا وضوء رسول الله(ص) كلّ يوم وليلة فى موطنه ومهجره وفى حضره وسفره، ومع ذلك اختلفوا فى أشدّ المسائل ابتلاءً، وهذا يعرب عن أنّ الاجتهاد لعب فى هذا المسألة دوراً عظيماً، فجعل أوضح المسائل أبهمها.

إنّ القول بالمسح هو المنصوص عن أئمّة أهل البيت(عليهم السلام)، وهم يسندون المسح إلى النبى الأكرم(ص) ويحكمون وضوءه به، قال أبوجعفر الباقر(ع): «ألا أحكى لكم وضوء رسول الله(ص)؟ ثمّ أخذ كفّاً من الماء فصبّها على وجهه إلى أن قال: ثمّ مسح رأسه وقدميه. ....» وفى ضوء هذه الروايات والمأثورات اتّفقت الشيعة الإمامية على أنّ الوضوء غسلتان ومسحتان.

ص: ۱۱۸

المسألة العاشرة: السجود على الأرض

لعلّ من أوضح مظاهر العبودية والانقياد والتذلّل من قبل المخلوق لخالقه هو السجود، فليس هناك أوضح فى إعلان التذلّل لله تعالى من السجود على التراب والرمل والحجر والحصى، لما فيه من تذلّل أوضح وأبين من السجود على الحصر والبوارى، فضلًا عن السجود على الألبسة الفاخرة والفرش الوثيرة والذهب والفضّة، وإن كان الكلّ سجوداً إلا أنّ العبودية تتجلّى فى الأوّل بما لاتتجلّى فى غيره (۱).

و الإمامية ملتزمة بالسجدة على الأرض فى حضرهم وسفرهم، ولا يعدلون عنها إلّا إلى ما أنبت منها من الحصر والبوارى بشرط أن لايؤكل ولا يلبس، ولايرون السجود على غيرهما صحيحاً فى حال الصلاة أخذاً بالسّنة المتواترة عن النبى الأكرم(ص) وأهل بيته وصحبه.

كثيراً ما يتصوّر أن الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبتت منها بدعة، ويتخيّل الحجر المسجود عليه وثناً، وهؤلاء هم الّذين لا يفرّقون بين المسجود له والمسجود عليه! وقاس أمر

۱- الوسايل: ۱، الباب ۱، الحديث ۱.

ص: ۱۱۹

الموحّد بأمر المشرك بحجّة المشاركة في الظاهر!

نعم، الساجد على التربة غير عابد لها، بل يتذلّل إلى ربّه بالسجود عليها، ومن توهّم عكس ذلك فهو من البلاهة بمكان، وسيؤدّى إلى إرباك كلّ المصلّين والحكم بإشراكهم، فمن يسجد على الفرش والقماش وغيره لابدّ أنيكون عابداً لها على هذه المنوال، فيا للعجب العجاب!!

إنّ النبي الأكرم(ص) وصحبه كانوا ملتزمين بالسجود على الأرض، وروى الفريقان عن النبي الأكرم(ص) أنّه قال: «وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً»

و عن خالد الجهني، قال: رأى النبي(ص) صهيباً يسجد كأنّه يتّقى التراب، فقال(ص) له: «ترّب وجهك يا صهيب (۱)»، وعن ميمونة: «ورسول الله(ص) يصلّي على الخمرة فيسجد» (۲) إلى هنا تبيّن أنّ التزام الشيعة باتّخاذ التربة مسجداً ليس إلّا تسهيل الأمر للمصلّي في سفره وحضره خوفاً من أن لايجد أرضاً طاهرةً أو حصيراً طاهراً فيصعب الأمر عليه، وهذا كادّخار المسلم تربة طاهرة لغاية التيمّم عليها.

۱- المتقى الهندى، كنزالعمال: ۷/ ۴۶۵/ ح ۱۹۸۱۰.

۲- مسند أحمد ۳۳۱: ۱- ۳۳۵ وأيضاً ۳۰۲- ۳۰۹ و ۳۵۸ و ۲۶۹ و ۱۷۹ و ۳۷۷، و ۹۲- ۹۸.

ص: ۱۲۰

و أمّا السرّ فی التزام الشیعة استحباباً بالسجود علی التربة الحسینیة: أن یتذکر بوضع جبهته علی تلک التربة الزاکیة أولئک الّذین جعلوا أجسامهم ضحایا للحقّ، وارتفعت أرواحهم إلی الملأ الأعلی، لیخشع ویخضع ویتلازم الوضع والرفع، وتحتقر هذه الدنیا الزائفة وزخارفها الزائلة، ولعلّ هذا هو المقصود من أنّ السجود علیها یخرق الحجب السبع کما فی الخبر، فیکون حینئذٍ فی السجود سرّ الصعود والعروج من التراب إلی ربّ الأرباب.

فلیس فی ذلک أیة خزازة وتعسّف أو شیء یضادّ نداء القرآن الکریم أو یخالف سنّة الله وسنّة رسوله(ص) أو خروج من حکم العقل والإعتبار.

المسألة الحادیة عشرة: عدالة الصحابة کلّهم!

اشارة

صحابة النبی الأکرم(ص) هم المسلمون الأوائل الذین رأوا النبی الأکرم(ص) وتشرّفوا بکرامة الصحبة وتحمّلوا جانباً مهمّاً فی عملیة نشر الدعوة الإسلامیة، وبذل جمع منهم النّفس والنفیس فی نشرالإسلام، حتّی امتدّ إلی أقاصی المعمورة، فأقاموا اسسه وشادوا بنیانه ورفعوا قواعده. وکلّ من تلا آیات الذکر الحکیم حول المهاجرین والذین اتبعوهم بإحسان لایملک نفسه إلّا أن

ص: ۱۲۱

يغبط منزلتهم وعلوّ شأنهم بل ويتمنّى من صميم قلبه أن يكون أحدهم ويدرك شأنهم، فإذا كان هذا حال الصحابة فى الذكر الحكيم فكيف يتجرّأ مسلم على تكفير الصحابة ورميهم بالردّة والزندقة أو تفسيقهم جميعاً؟!

إنّا لو أحصينا المهتدين فى عصر الرسول(ص) والّذين استشهدوا فى عهد النبى الأكرم فهم يتجاوزون المئات، ولا يشكّ أىّ مسلم فى أنّهم كانوا مثال المؤمنين الصادقين الأجلاء الّذين:(

صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ ومِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

) (۱) فإذا كان الحال كذلك واتّفق الشيعى والسنّى على إطراء الذكر الحكيم للصحابة والثناء عليهم، فما هو موضع الخلاف بين الطائفتين كى يعدّ ذلك من أعظم الخلاف بينهما؟! إنّ موضع الخلاف ليس إلّا فى نقطة واحدة وهى أنّ أهل السنّة يقولون بأنّ كلّ من رأى النبى(ص) وعاشره ولو يوماً أو يومين فهو محكوم بالعدالة منذ اللقاء إلى يوم ادرج فى كفنه ولو صدر منه قتل أو نهب أوزنى أو غير ذلك!، محتجّين بما نسب إلى رسول‌الله(ص): «أصحابى كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم»، بل

۱- أحزاب: ۲۳.

ص: ۱۲۲

يلبسونهم ثوب العصمة!، إلى حدّ كان القدح بالصحابى أشدّ من القدح برسول الله(ص)، فنفى العصمة عن النبى(ص) واتّهامه بالذنب قبل بعثه وبعده كان أمراً سهلًا يطرح بصورة عقيدة معقولة ولا يؤاخذ القائل بها، وأمّا من نسب صغيرة أو كبيرة إلى صحابى فأهون ما يواجهونه به هو الاستتابة وإلا فالقتل. فيجب تحليل المسألة على ضوء الكتاب والسنّة.

الصحابة فى القرآن الكريم

أولًا: إنّ القرآن يصنّف الصحابة إلى أصناف مختلفة: فهو يتكلّم عن السابقين الأوّلين والمبايعين تحت الشجرة والمهاجرين المهجّرين عن ديارهم وأموالهم وأصحاب الفتح إلى غير ذلك من الأصناف المثالية الذين يثنى عليهم ويذكرهم بالفضل والفضيلة، وفى مقابل ذلك يذكر أصنافاً اخر يجب أن لا تغيب عن أذهاننا وتلك الأصناف هى التالية:

۱- المنافقون المعروفون. (۱) ۲- المنافقون المتسترّون الذين لايعرفهم النبى(ص). (۲) ۳- ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب. (۳)

۱- منافقون: ۱.

۲- التوبه: ۱۰۱.

۳- الأحزاب: ۱۱.

ص: ۱۲۳

۴- السمّاعون لأهل الفتنة. (۱) ۵- المسلمون الذين خلطوا عملًا صالحاً وآخر سيئاً. (۲) ۶- المشرفون على الارتداد عندما دارت عليهم الدوائر. (۳) ۷- الفسّاق الّذين لا يصدّق قولهم ولا فعلهم. (۴) ۸- المسلمون الّذين لم يدخل الإيمان فى قلوبهم. (۵) ۹- المولّون أمام الكفار. (۶) فإنّ هذه الآيات الكريمة تعرب عن أنّ صحابة النبى الأكرم(ص) لم يكونوا على نمط واحد، وعندئذٍ يتحقّق أنّ الصحبة لا تعطى لصاحبها منقبة إلّا إذا كان أهلًا لها وهذا ما ذهبت إليه الشيعة، وهو نفس النتيجة الّتى يخرج بها الإنسان المتدبّر للقرآن الكريم.

ثانياً: إنّ الآيات التى تناولت المهاجرين والأنصار وغيرهم بالمدح والثناء لاتدلّ على أكثر من أنّهم كانوا حين نزول القرآن

۱- التوبه: ۴۵- ۴۷.

۲- التوبه: ۱۰۲.

۳- آل عمران: ۱۵۴.

۴- الحجرات: ۶ وسجده: ۱۸.

۵- الحجرات: ۱۴.

۶- الأنفال: ۱۵- ۱۶.

ص: ۱۲۴

مُثلًا للفضل والفضیلة ولکن الأمور إنّما تعتبر بخواتیمها، فکم من مؤمن زلّت قدمه فی الحیاة فعاد منافقاً أو مرتدّاً وکم من ضالّ شملته العنایة الإلهیة فبصر الطریق وصار رجلًا إلهّیاً!

ثالثاً: ومن سوء الحظّ أنّ شرذمة قلیلة من الصحابة زلّت أقدامهم وانحرفوا عن الطریق، فلا تمسّ دراسة أحوال هؤلاء القلیلین وتبیین مواقفهم وانحرافهم عن الطریق المستقیم بکرامة الباقین!

فمن علمنا عدالته حکمنا بها وقبلنا روایته ولزمنا له من التعظیم والتوقیر بسبب شرف الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد فی سبیل الله ما هو أهله؛ ومن علمنا منه خلاف ذلک لم تقبل روایته أمثال مروان بن الحکم والمغیرة بن شعبة والولید بن عقبة وبسر بن أرطاة وبعض بنی‌أمیة وأعوانهم؛ ومن جهلنا حاله فی العدالة توقّفنا فی قبول روایته.

المسألة الثانیة عشرة: فی عالمیة رسالة النبی ۹ و خاتمیتها

اشارة

تمتاز الشریعة الإسلامیة بنقطتین رئیسیتین: الاولی عالمیتها وشمولیتها،

الثانیة: کونها خاتمة الشرائع.

ص: ۱۲۵

یقول سبحانه:(وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا کَافَّةً لِلنَّاسِ) (۱) و قال سبحانه:(قُلْ یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً) (۲) لقد بعث الرّسول الأعظم(ص) سفراءه إلی أنحاء المعمورهٔ لنشر دعوته فیها وبید کلّ واحد منهم کتاب یعبّر عن عالمیهٔ دعوته.

کما أنّ اجتیاح جیوش المسلمین ورجالهم أرض غیرالعرب واستقرار الأمّـهٔ الإسلامیهٔ فی أکثر مناطق المعمورهٔ بل معظمها یومذاک، أیضاً یدلّ علی عالمیتها.

والملمح الثانی هو خاتمیتها، والمراد: أنّها آخر الشرائع وأنّ المبعوث بها هو خاتم الأنبیاء.

الخاتمیهٔ فی الذکر الحکیم

قال سبحانه:(إِنَّ الدِّینَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ) (۳) و یعاضدها قوله تعالی:(وَ مَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الإِسْلامِ دِیناً فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْهُ) (۴). ولأجل ذلک کتب الرّسول(ص) إلی قیصر عند ما دعاه إلی الإسلام، قوله سبحانه:(قُلْ یا أَهْلَ الْکِتابِ تَعالَوْا

۱- سبأ: ۲۸ أیضاً الفرقان: ۱.

۲- آل عمران: ۱۹.

۳- الأعراف: ۱۵۸.

۴- آل عمران: ۸۵.

ص: ۱۲۶

إلی کَلِمَـهٍٔ سَواءٍ بَیْنَنا وبَیْنَکُمْ أَلَّا نَعْبُـدَ إِلَّا اللّهَ ولا نُشْـرِکَ بِهِ شَـیْئاً ولا یَتَّخِذَ بَعْضُـنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْـهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ) . (۱) و قوله سبحانه:(یَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَـذِیرا) (۲) قوله سبحانه:(مـا کانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَـدٍ مِنْ رِجالِکُمْ ولکِنْ رَسُولَ اللّهِ وخاتَمَ النَّبِیِّینَ) (۳) ولقد قرئ لفظ الخاتم بوجهین:

الأول: بفتـح التاء، وعلیه قراءهٔ عاصم، ویکون بمعنی الطابع الذی تختم به الرسائل والمواثیق، فکان النبی الأکرم(ص) بالنسـبهٔ إلی باب النبوّهٔ کالطابع، ختم به باب النبوهٔ واوصد واغلق فلایفتح أبداً.

الثانی: بکسر التاء، وعلیه یکون اسم فاعل، أی الذی یختم باب النبوهٔ.

و علی کلتا القرائتین فالآیهٔ صریحهٔ فی أنّ باب النبوهٔ أو بعث الأنبیاء ختم بمجیء النبی الأکرم(ص).

و تمّت کلمهٔ ربک بظهور الدعوهٔ المحمّدیهٔ ونزول الکتاب المهیمن علی جمیع الکتب وصارت مستقرّهٔ فی محلّها بعد ما کانت تسیر

۱- آل عمران: ۶۴.

۲- الفرقان: ۱، أیضاً الانعام: ۱۹ وسبأ: ۲۸.

۳- الأحزاب: ۴۰.

ص: ۱۲۷

دهراً طویلًا فی مدارج التدرّج بنبوّهٔ بعد نبوّهٔ، وشریعهٔ بعد شریعهٔ.

الخاتمیهٔ فی الأحادیث النبویهٔ

ورد علی لسان النبی الأکرم(ص):

«أما ترضی أن تکون منّی بمنزلهٔ هارون من موسی إلّا أنّه لانبی بعدی- أو لیس بعدی نبی- ولا ینبغی أن أذهبُ إلّا وأنت خلیفتی»

والحدیث علی لسان المحدّثین حدیث المنزلهٔ.

وقـال رسول الله(ص): مثلی ومثـل الأنبیـاء کمثـل رجل بنی داراً فأتمّها وأکملها إلّا موضع لبنـهٔ، فجعل الناس یـدخلونها ویتعجّبون منها ویقولون: لولاموضع هذه اللّبنهٔ؛ قال رسول الله(ص):

«فأنا موضع اللّبنهٔ جئت فختمت الأنبیاء»

. وقال رسول الله(ص):

«إنّ الرسالهٔ والنبوّهٔ قد انقطعت، ولا رسول بعدی ولا نبی.»

وقال رسول الله(ص):

«ارسلت إلی الناس کافّهٔ، وبی ختم النبیون.»

وقال رسول الله(ص):

«فضّلت بسّتٍ: أعطیتُ جوامع الکلم، ونصـرت بـالرعب، وأحلّت لی الغنائم، وجعلت لی الأرضُ مسـجداً وطهوراً، وارسـلتُ إلی الخلق کافّهٔ، وختم بی النبیون»

ص: ۱۲۸

الخاتمیهٔ فی أحادیث العترهٔ الطاهرهٔ

قال الإمام علی(ع) وهو یلی غسل رسول الله(ص) وتجهیزه:

«بأبی أنت وأمّی لقد انقطع بموتک مالم ینقطع بموت غیرک من النبوّهٔ والأنباء وأخبارالسّماء».

و قال الإمام الصادق(ع): ...

«حلال محمد ۹ حلال أبداً إلی یوم القیامهٔ لایکون غیره ولا یجیءُ غیره».

أسئِلَهٔ حول الخاتمیهٔ

السؤال الأوّل:

إنّ القرآن الکریم ینصّ علی أنّ المؤمنین بـالله وبـالیوم الآخر من جمیع الشـرائع سـینالون ثواب الله وأنّه لاخوف علیهم ولا هم یحزنون (۱)؛ ومعنی ذلک: أنّ أتباعها ناجون شأنهم شأن من اعترف بالإسلام وصار تحت لوائه تماماً، فکیف تکون رسالته خاتمهٔ الشرائع؟!

الجواب:

إنّ غایهٔ ما یتوخّاه القرآن– فی هذه الآیات– إنّما هو فقط نسف وإبطال عقیدهٔ الیهود والنصاری، ولیعلن مکانه بأنّ النجاهٔ

۱– البقره: ۶۲ و ۱۱۲ والمائدهٔ: ۶۹ والحج: ۱۷.

ص: ۱۲۹

إنّما هی بالإیمان الصادق والعمل الصالح، فلیست الأسـماء ولا الأنساب هی الّتی تنجی أحداً فی العالم الآخر، وإنّما هو الإیمان والعمل الصالح، وهذا الباب مفتوح فی وجه کلّ إنسان یهودیاً کان أو نصرانیاً أو غیرهم.

حتّی أنّ أهل الکتاب لو امنوا بما آمن به المسـلمون لقبلنا إیمانهم وکفّرنا عنهم سـیئاتهم. إذن فلا دلالهٔ لهذه الآیات الثلاث علی إقرار الإسلام لشرعیهٔ الشرائع بعد ظهوره.

السؤال الثانی: لماذا ختمت النبوّهٔ التبلیغیهٔ؟!

إنّ الأنبیاء کانوا علی قسـمین: منهم من کان صاحب شریعهٔ، ومنهم من کان مبلّغاً لشریعهٔ من قبله من الأنبیاء، کأکثر أنبیاء بنی إسرائیل الّذین کانوا یبلّغون شـریعهٔ موسـی بین أقوامهم. فهب أنّه ختم باب النبوهٔ التشـریعیهٔ لکون الشـریعهٔ الإسـلامیهٔ متکاملهٔ، فلماذا ختم باب النبوّهٔ التبلیغیهٔ؟!

و الجواب عنه: غنی الأمّهٔ الإسلامیهٔ عن هذا النوع من النبوّهٔ؛ وذلک لوجهین:

الوجه الأوّل: أنّ النبی الأکرم(ص) ترک بین الأمّهٔ الکتاب والعترهٔ وعرّفهما إلیها بیّن أنّه لن تضّل الأمّهٔ مادامت متمسّکهٔ بهما.

ص: ۱۳۰

الوجه الثانی: أنّ علماء الأمّة المأمورین بالتبلیغ بعد التفقّه أغنوا الأمّة عن أیّة نبوّة تبلیغیة، قال سبحانه:(

فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ کُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِیَتَفَقَّهُوا فِی الدِّینِ ولِیُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَیْهِمْ لَعَلَّهُمْ یَحْذَرُونَ

) (۱) وقال سبحانه:(

وَ لْتَکُنْ مِنْکُمْ أُمَّةٌ یَدْعُونَ إِلَی الْخَیْرِ ویَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ویَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ

) (۲) السؤال الثالث: لماذا حرم الخلف من المکاشفة الغیبیة والاتصال بعالم الغیب واستطلاع ما هناک من المعارف والحقائق؟!

الجواب: إنّ الفتوحات الغیبیة من المکاشفات والمشاهداة الروحیة لم توصد بابها، وإنّما أوصد منها باب خاص وهو باب النبوّة، فالفتوحات الباطنیة من المکاشفات والإلقاءات فی الروع غیر مسدود بنصّ الکتاب العزیز، قال سبحانه:(

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ یَجْعَلْ لَکُمْ فُرْقاناً

) (۳) أی یجعل فی قلوبکم نوراً تفرّقون به بین الحقّ والباطل، قال سبحانه:(

وَ یَجْعَلْ لَکُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ

) (۴)

۱- التوبة: ۱۲۲

۲- آل عمران: ۱۰۴

۳- الأنفال: ۲۹

۴- الحدید: ۲۸

ص: ۱۳۱

و هنـاک روایـات تـدلّ بوضـوح علی انفتـاح هـذاالباب فی وجه الإنسـان: کمـا قـال رسـول الله(ص): «إنّ الرسالـة والنبوّة قـد انقطعت ولاـرسول بعـدی ولا نبی» فشقّ ذلک علی الناس! فقال: «ولکن المبشّـرات». فقالوا: یا رسول‌الله(ص) وما المبشّـرات؟ فقال(ص): «رؤیا المسلم، وهی جزء من أجزاء النبوّة» (۱).

السؤال الرابع: کلّما تکاملت جوانب الحضارة وتشابکت وتعدّدت ألوانها واجه المجتمع أوضاعاً وأحداثاً جدیدة وطرحت علیه مشاکل طارئـة لاعهـد للأزمنـة السابقة بها، وما جاء به الرسول لایجاوز قوانین محدودة، فکیف تفی النصوص المحدودة بالحوادث الطارئة غیر المتناهیة؟!

الجواب: إنّ خلود التشـریع وبقاءه فی جمیع الأجیال ومسایرته للحضارات الإنسانیة واسـتغناءه عن کلّ تشـریع سواه، یتوقّف علی وجود أمرین فیه:

الأوّل: أن یکون التشریع ذا مادّة حیّویة خلّاقة للتفاصیل بحیث یقدر معها علماء الأمّة والأخصّائیون منهم علی استنباط کلّ حکم یحتاج إلیه المجتمع البشری فی کلّ عصر من الأعصار.

الثانی: أن ینظر إلی الکون والمجتمع بسعة وانطلاق مع مرونة خاصة تماشی جمیع الأزمنة والأجیال وتسایرالحضارات

۱- الترمذی، السنن: ۳/ ۳۶۴.

ص: ۱۳۲

الإنسانیهٔ المتعاقبهٔ، وقد أحرز التشریع الإسلامی کلا الأمرین؛ أمّا الأوّل فقد أحرزه بتنفیذ أمور:

الف: الاعتراف بحجّیهٔ العقل فی مجالات خاصّهٔ من الأحکام الّتی تعدّ من ثمرات القول بالتحسین والتقبیح العقلیین.

ب: إنّ الأحکام تابعهٔ للمصالح والمفاسد عند العدلیهٔ، فلا واجب إلّا لمصلحهٔ فی فعله ولا حرام إلّا لمفسدهٔ فی اقترافه، ویشهد بذلک کتاب الله فی موارد:

یقول سبحانه:

(إِنَّما یُرِیدُ الشَّیْطانُ أَنْ یُوقِعَ بَیْنَکُمُ الْعَداوَهَ والْبَغْضاءَ فِی الْخَمْرِ والْمَیْسِرِ ویَصُدَّکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللَّهِ وعَنِ الصَّلاهِٔ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ

) (۱) و یقول سبحانه:(

وَ أَقِمِ الصَّلاهَٔ إِنَّ الصَّلاهَٔ تَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْکَرِ

) (۲) و قد تضافرت النصوص عن أئمّهٔ أهل البیت(علیهم السلام) علی أنّ الأحکام الشرعیهٔ تخضع لملاکات، قال الإمام الطاهر علی بن موسی الرضا(ع): إنّ الله تبارک وتعالی لم‌یبح أکلًا ولاشرباً إلّا

۱- المائدهٔ: ۱۹۱.

۲- عنکبوت: ۴۵.

ص: ۱۳۳

لما فيه المنفعة والصلاح، ولم‌يحرّم إلّا ما فيه الضرر والتلف والفساد»،

و قال(ع) فی الدم:

«أنّه يسیء الخُلق ويورث القسوة للقلب وقلّة الرأفة والرحمة، ولا يؤمن أن يقتل ولده ووالده!»

. ج: إنّ التشـريع الإسلامی فی مختلف الأبواب مشتمل علی أصول وقواعد عامة تفی باستنباط آلاف الفروع التی يحتاج إليها المجتمع البشری علی امتداد القرون والأجيال، روی الكلينی عن أبی عبدالله(ع) أنّه قال:

«ما من شیءٍ

إلّا

وفيه كتاب أو سنّة.»

نعم! تتجلّی حيوية مادة التشـريع إذا أخذنا بسنّة رسول الله المرويّة عن طريق أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) الذين أغنوا الأمّة الإسلامية عن اعتماد الأدلّة الظنّية كالقياس والاستحسان.

د: تشـريع الاجتهاد وعدم غلق بابه عند الشـيعة بعد رحيل صاحب الرسالة إلی يومنا هذا، وبذلك أنقذوا الشريعة من الانطماس، وأغنوا الأمّة الإسلامية عن التطلّع إلی موائد الغربيين.

ه: حقوق الحاكم الإسلامی أو ولاية الفقيه الّتی من شأنها أن توجّه المجتمع البشری إلی أرقی المستويات الحضارية؛ لأنّه

ص: ۱۳۴

يتمتّع بمثل ما يتمتّع به النبى(ص) والامام(ع) من النفوذ المطلق إلّا ما كان من خصائص النبى(ص) والأئمّة(عليهم السلام).

المرونة التشريع الإسلامى:

و قد تمثّلت بأمور:

الأمر الأول: كونه جامعاً بين الدعوة إلى المادّة والروح على وجه يطابق الفطرة الإنسانية، وجعل الفطرة مقياساً للحلال والحرام، وشرّع للإنسان ما يسعده فى الدنيا والآخرة على ما هو مفصّل فى محلّه.

الأمر الثانى: النظر إلى المعانى لا إلى الظواهر: فإنّ الإسلام دعا إلى تأمين حاجات الإنسان من الملبس والمسكن وإشاعة العلم والتربية، وهذا هو اللبّ، وأمّا الأشكال والأنماط لهذا التشريع فمتروك إلى مقتضيات العصور.

الأمر الثالث: الأحكام التى لها دورالتحديد، وقد اصطلح عليها الفقهاء بالأدلّة الحاكمة لأجل حكومتها وتقدّمها على كلّ حكم، مثلًا قوله سبحانه:(وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (۱) حاكم على كلّ تشريع استلزم العمل به حرجاً لايتحمّله

۱- حج: ۷۸.

ص: ۱۳۵

للمكلّف عادة فهو مرفوع فى الظروف الحرجة؛ ومثله قوله(ص): «لا ضرر ولا ضرار»، فكلّ حكم استتبع العمل به ضرراً شديداً فهو مرفوع فى تلك الشرائط نعم، تشخيص الحاكم من المحكوم وما يرجع إلى العمل بالحاكم من الشرائط يحتاج إلى الدّقة والإمعان والتفّقه والاجتهاد.

السؤال الخامس: إنّ مقتضى كون الإسلام ديناً خاتماً ثبات قوانينه وتشريعاته، ومن المعلوم أن المجتمع الإنسانى لم يزل فى تطوّر وتغير فكيف يمكن للقانون الثابت معالجة متطلّبات المجتمع المتغيّر؟

و الإجابة عنه تتوقّف على بيان ما هو الثابت من حياة الإنسان عن متغيّرها:

إنّ الجانب الثابت من حياة الإنسان:

۱- الغرائز الثابتة والروحيات الخالدة التّى لا تتغيّر ولا تتبدّل مادام الإنسان إنساناً، فإذا كان التشريع معدّلًا، إياها عن الإفراط والتفريط ومرتكزاً على العدل والاعتدال فذلك التشريع خالداً فى ظلّ خلود الغرائز.

۲- إنّ التفاوت بين الرجل والمرأة أمر لا-ينكر، فهما موجودان مختلفان اختلافاً عضوياً وروحياً رغم كلّ الدعايات السخيفة المنكرة لذلك الاختلاف، ولكلّ من الرجل والمرأة

ص: ۱۳۶

متطلّب وفق ترکیبه، فإذا کان التشریع متجاوباً مع الترکیب والفطرة یکون خالداً حسب خلود الفطرة والترکیب.

۳- الروابط العائلیة کعلاقة الأب بولده وبالعکس علاقات طبیعیة مبنیة علی الفطرة، فالأحکام الموضوعیة وفق هذه الروابط من التّوارث ولزوم التکریم ثابتة لاتتغیّر بتغییر الزمان.

۴- إنّ فی حیاة الإنسان قضایا أخلاقیة ثابتة عبرالزمان لایتسرّب إلیها التغییر ککون الظلم قبیحاً والعدل حسناً.

إنّ هناک موضوعات فی الحیاة الإنسانیة لن تزل ذات مصالح ومفاسد أبدیة، فمادام الإنسان إنساناً فالخمر یزیل العقل والمیسر ینبت العداوة فی المجتمع.

الجانب المتغیّر فی الحیاة الإنسانیة:

إنّ للإنسان جانباً آخر فی حیاته لایزال یتغیّر من حال إلی حالٍ، فمثل هذا یتطلّب تشریعات متغیّرة حسب تغیّره وتبدّله، ومن حسن الحظّ أنّه لیس فی الإسلام الخاتم تشریع ثابت لهذا الجانب، وسوّغ للمجتمع البشری إدارة شؤون حیاته فی مجال العمران والبناء وتطور الحیاة المختلفة فی مجال الثقافة والدفاع والإقتصاد فی ظلّ إطارعام یتجاوب مع التغیّر والتطوّر ضمن شروط معلومة فی الفقه الإسلامی، وحدوده عبارة أن لایزاحم

ص: ۱۳۷

سعادة الإنسان وأن لايكون فيه ضرر على روحه وجسمه والقيم الّتى بها يمتاز عن الحيوان.

الشيعة والخاتمية:

إنّ هناك شبهات ضئيلة فى المقام تطرح من جانب اناس لاعرفان لهم بمذهب الشيعة. فمن ذلک اتهام الشيعة بأنّ عندهم كتباً غير القرآن، ككتاب على، وسنبيّن ذلک مفصّلًا

۱- كتاب على (ع) وإملاء رسول الله (ص)

إنّ الإمام على بن ابى‌طالب(ع) كان وليد البيت النبوى(ص)، وكان مع الرسول الأعظم منذ نعومة أظفاره إلى رحيل رسول الله(ص) عن الدنيا، وبذلک صار باب علم النبى(ص)، ولمثل هذا النوع من التلاحم يصف على(ع) حاله مع النبى(ص) ويقول: «إنى إذا كنت سألته أنبأنى، وإذا سكتّ ابتدأنى».

كان رسول الله(ص) يأمر علّياً(ع) أن يكتب كلّ ما يملى عليه؛ فقال(ع) مرّة لرسول الله(ص): «يا نبى الله أتخاف على النسيان؟!» قال(ص) لست أخاف عليک النسيان، وقد دعوت الله أن يحفظک ولا ينسيک، ولكن أكتب لشركائک!»

قال(ع): قلت: ومن شركائى يا نبى الله(ص)؟! قال(ص): الأئمّة

ص: ۱۳۸

من ولدک.»، وکان من جملة ما أملاه علیه رسول الله(ص) وکتبه علی(ع) بخطّه کتاب طوله سبعون ذراعاً فی عرض الأدیم، وهذا هو المعروف بکتاب علی(ع) وصحیفته، وکانت الأئمة بعد الإمام یصدرون عنه ویروون عنه ویستشهدون فی مواقع خاصّة به، وبذلک صار الإمام هو المدوّن الرسمی للحدیث النبوی(ص) وإن کان بعض الصحابة شارکه فی ضبط الحدیث النبوی، لکن صحائفهم وکتبهم احرقت!- ویا للأسف فی عصر الخلفاء، لکن بقی کتاب الإمام غضّاً طریاً مصوناً من الشرّ یرثه إمام بعد أمام. إذن تبین أنّ کتاب علی(ع) لم یکن إلّا جامعاً حدیثیاً وکان تدویناً مبکراً للسّنّة النبوّیة المطهّرة، فتسمیة أئمة أهل البیت(علیهم السلام) له تارة بکتاب علی(ع) واخری بالجامعة وثالثة بصحیفة علی والکتاب یعرب عن عنایة الإمام بضبط أحادیث الرّسول(ص)، کما یعرب عن عنایة سیدالثقلین(ص) بکتابة حدیثه لیبقی علی مر العصور والقرون، لا یعتریه الوضع والخدش.

مصحف فاطمه ۳: لاشک أنّه کان عند فاطمة مصحف، حسبما تضافرت علیه الروایات، ولکن المصحف لیس اسماً مختصاً بالقرآن، حتی تختص بنت‌المصطفی(ص) بقرآن خاص، وإنّما کان کتاباً فیه الملاحم والأخبار، فقد روی أبوعبیدة عن

ص: ۱۳۹

أبی عبدالله(ع) قال: «إنّ فاطمهٔ مکثت بعد رسول الله خمس وسبعین یوماً، وکان دخلها حزن شدید علی أبیها، وکان جبرئیل(ع) یأتیها فیحسن عزاءها علی أبیها ویطیب نفسها ویخبرها عن أبیها ومکانه ویخبرها بما یکون بعدها فی ذرّیتها، وکان علی(ع) یکتب ذلک، فهذا مصحف فاطمهٔ ۳.» ولعلّ القارئ یسأل نفسه عن فاطمهٔ ۳ هل کانت محدّثهٔ تحدّثها الملائکهٔ کما ورد فی الروایهٔ السابقهٔ؟

إنّ فاطمهٔ ۳ لا تقلّ شأناً عن مریم البتول ولا عن امرأهٔ الخلیل (۱)، قال سبحانه:(وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِکَهُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاکِ وطَهَّرَکِ واصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ) (۲) إلی غیر ذلک من الآیات الواردهٔ فی سورتی آل عمران ومریم.

فإذا کانت مریم وامرأهٔ الخلیل محدّثتین ففاطمهٔ سیدهٔ نساءالعالمین ۳ أولی بأن تکون محدّثهٔ.

ما هو مصدر روایات أهل البیت؟

إنّ لعلوم أئمّهٔ أهل البیت(علیهم السلام) مصادر مختلفهٔ:

۱- النقل عن آبائهم(علیهم السلام) عن رسول الله(ص)، من دون أن

۱- هود: ۷۳ ۶۹ وقصص: ۷.

۲- آل عمران: ۴۲.

ص: ۱۴۰

يتوّسط بين الأسانيد شخص بين آبائهم وأجدادهم.

۲- النقّل عن كتاب على(ع).

۳- الإلهام أو تحديث الملائكة، فما كان يخبرون به من الملاحم أو يجيبون عن الأسئلة، فالكلّ ممّا كان يلقى فى روعهم. وهذا النوع من المصدر وإن كان ثقيلًا على من لم‌يعرف مقاماتهم، إلّا أنّه صحيح لمن درس حياتهم. إنّ المحدَّث- بصيغة المفعول- من تكلّمه الملائكة بلانبوّة ولا رؤية صورة، أو يلهم ويلقى فى روعه شىء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى أو ينكت له فى قلبه من حقائق تخفى على غيره، فالمحدَّث بهذا المعنى ممّن اتفق عليه الفريقان: الشيعة والسنّة ولو كان هناك خلاف فإنّما هو فى مصداقه! وقبل ذلك نجد المحدَّث فى الامم السالفة، فهذا صاحب موسى(ع) (۱) ومريم البتول (۲) وأمّ موسى(ع) (۳).

و بذلك يعلم أنّ الإخبار عن الغيب بإذن من الله سبحانه، «لايلازم كون المخبر نبياً، وأنّ تكلّم الملائكة مع إنسان لايصلح دليلًا على كونه مبعوثاً من الله سبحانه للنبوّة؛ ولو اعتمدت

۱- الكهف: ۶۰ ۸۲.

۲- آل عمران: ۴۲.

۳- القصص: ۷.

ص: ۱۴۱

الشيعة على علم الأئمّة فلكونهم وارثين لعلم النبى(ص) ووارثين لما عند على(ع) من الكتب الّتى كتبها بإملاء من رسول الله(ص) أو محدَّثين تلقى فى روعهم الإجابات على الأسئلة، فلا يدلّ على أنّهم أنبياء، ومن نسبهم إلى تلك الفرية الشائنة بحجة إخبارهم عن الملاحم فقد ضلّ عن سواء السبيل، ولم يفرّق بين النبوّة والرسالة والتحدّث.

ص: ۱۴۲

ص: ۱۴۳

الفصل الخامس: «رؤية الله» فى ضوء الكتاب

والسّنة والعقل

إنّ فكرة الرؤية تسرّبت إلى المسلمين من المتظاهرين بالإسلام كالأحبار والرهبان، وصار ذلك سبباً لجرأة طوائف من المسلمين على جعلها فى ضمن العقيدة الإسلامية بحيث يكفّر منكرها أحياناً أو يفسّق حتّى أنّ الإمام الأشعرى قال فى الإبانة: وندين بأنّ الله تعالى يرى فى الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، كما جاءت الروايات عن رسول‌الله(ص)!

ثمّ إنّهم اختلفوا فى الدليل على الرؤية؛ ففرقة منهم اعتمدوا على الأدلّة العقلية دون السمعية، كسيف الدين الآمدى أحد

ص: ۱۴۴

مشایخ الأشاعرهٔ فی القرن السابع(۵۵۱- ۶۳۱ ه.)، وفرقهٔ اخری کالرازی وغیره قالوا: العمدهٔ فی جواز الرؤیهٔ ووقوعها هو السمع، وعلیه الشیخ الشهرستانی فی نهایهٔ الأقدام.

«الرؤیهٔ بالأبصار لا بالقلب ولا بالرؤیا»

محل النزاع بین الأشاعرهٔ ومن قبلهم الحنابلهٔ وأصحاب الحدیث وبین غیرهم من أهل التنزیه: هو رؤیهٔ الله سبحانه بالأبصار، وأمّا الرؤیهٔ بغیرها فخارجهٔ عن مجاله، فإذا کانت الحنابلهٔ والأشاعرهٔ مصرّین علی جواز الرؤیهٔ، فأئمّهٔ أهل البیت(علیهم السلام) ومن تبعهم من الإمامیهٔ والمعتزلهٔ والزیدیه قائلون بامتناعها فی الدنیا والآخرهٔ.

و قد نجم فی ظلّ العراک الفکری بین العلویین والأمویین منهاجان فی مجال المعارف، کلّ یحمل شعاراً، فشیعهٔ الإمام علی(ع) وأهل بیته(علیهم السلام) یحملون شعار التنزیه والاختیار، والأمویون وشیعتهم یحملون شعار التشبیه والجبر. وقد اشتهر منذ قرون القول بأنّ: التنزیه والاختیار علوّیان والتشبیه والجبر أمویان قال الرازی فی تفسیر قوله:(لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ) (۱)

۱- الشوری: ۱۱.

ص: ۱۴۵

«احتجّ علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية على نفى كونه جسماً مركباً من الأعضاء والأجزاء حاصلًا فى المكان والجهة (۱)» واعلم أنّ محمّد بن إسحاق بن خزيمة ولد عام ۳۱۱ ه. وقد ألّف «التوحيد وإثبات صفات الرّب»، وكتابه هذا مصدر المشبّهة والمجسّمة فى العصور الأخيرة وقد اهتمّت به الحنابلة وخصوصاً الوهابية، فقاموا بنشره على نطاق واسع، وهم يظنّون أنّهم يحسنون صنعاً!

«الرؤية فى كلمات الإمام على ٧»

قد سأله الإمامَ ذعلب اليمانى فقال: هل رأيت ربّك يا أميرالمؤمنين(ع)؟! فقال(ع) «أفأعبد مالا أرى»؟! فقال فكيف تراه؟! فقال(ع): «لاتدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان؛ قريب من الأشياء غير ملابس، بعيد منها غير مباين» . (۲) و قال(ع):

«الحمد لله الذى لاتدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولاتراه النواظر، ولا تحجبه السواتر» (۳)

۱- مفاتيح الغيب: ۲۷/ ۱۵۰. ...

۲- نهج البلاغه، الخطبة: ۱۷۴.

۳- نهج البلاغه، الخطبة: ۱۸۰.

ص: ۱۴۶

للإمام الطاهر علی بن موسی الرضا(ع): إذا کانت الروایة مخالفة للقرآن کذّبتها وما أجمع المسلمون علیه أنّه لایحیط به علماً ولاتدرکه الأبصار ولیس کمثله شیء.

«الرؤیة فی منطق العلم والعقل»

إنّ الرؤیة فی منطق العلم والعقل لا ـ تتحقّق إلّا إذا کان الشیء مقابلًا أو حالًّا فی المقابل، کما فی رؤیة الصور فی المرآة؛ وهذا أمر تحکم به الضرورة وإنکاره مکابرة واضحة، فإذا کانت ماهیة الرؤیة هی ما ذکرناه، فلا یمکن تحقّقها فیما إذا تنزّه الشیء عن المقابلة أو الحلول فی المقابل. وبعبارة واضحة: أنّ العقل والنقل اتّفقا علی کونه سبحانه لیس بجسم ولاجسمانی ولا فی جهة، والرؤیة فرع کون الشیء فی جهة خاصّة، وما شأنه هذا یتعلّق بالمحسوس لا بالمجرّد

و لقائل أن یسأل: أنّه لو وقعت الرؤیة علی ذاته سبحانه فهل تقع علی کلّه أو بعضه؟! فلو وقعت علی الکلّ تکون ذاته محاطة لا محیطة، وهذا باطل بالضرورة ولو وقعت علی الجزء تکون ذاته ذات جزء مرکّب.

ص: ۱۴۷

«محاولة يائسة فى تجويز الرؤية»

۱- الرؤية بلاكيف: هذا العنوان هو الّذى يجده القارئ فى كتب الأشاعرة، وربّما يعبّر عنه خصومهم بالبلكفه، ومعناه أن الله تعالى يرى بلا كيف وأنّ المؤمنين فى الجنّة يرونه بلا كيف، أى منزّهاً عن المقابلة والجهة والمكان.

و بعبارة اخرى: أنّ الحنابلة والأشاعرة يصرّون على أنّ الصفات الخبرية كاليد والرجل والقدم والوجه فى الكتاب والسّنة يجب أن تفسّر بنفس معانيها اللغوية، ولايجوز لنا حملها على معانيها المجازية كالقدرة فى اليد مثلًا؛ ولمّا رأوا أنّ ذلك بلازم التجسيم التجأوا إلى قولهم «يد بلا-كيف، ولكنّهم خفى عنهم أنّ الكيفية فى اليد والوجه وغيرهما مقوّمة لمفاهيمها، فنفى الكيفية يساوق نفى المعنى اللّغوى، فكيف يمكن الجمع بين المعنى اللغوى والحمل عليه «بلا-كيف»؟! ومنه يعلم حال الرؤية بالبصر والعين، فإنّ التقابل مقوّم لمفهومها، فإثباتها بلا-كيف يلازم نفى أصل الرؤية، وقد عرفت أنّ الكلام فى النظر بالبصر والرؤية بالعين، لا الرؤية بالقلب أو فى النوم.

۲- اختلاف الأحكام باختلاف الظروف: إنّ بعض المثّقفين الجدد لمّا أدركوا بعقولهم أنّ الرؤية لاتنفكّ عن الجهة التجأوا

ص: ۱۴۸

إلى القول بأنّ كلّ شيءٍ فى الآخرة غيره فى الدنيا، ولعلّ الرؤية تتحقّق فى الآخرة بلاهذا اللازم السلبى!

۳- عدم الإكتراث بإثبات الجهة!

الدكتور أحمد بن محمّد خرّيج جامعة أمّ القرى [مكة] .... تخلّص عن الالتزام بإثبات الجهة لله بقوله: إنّ إثبات صفة العلوّ لله تبارك وتعالى ورد فى الكتاب والسّنة فى مواضع كثيرة جداً! فلاحرج فى إثبات رؤية الله تعالى من هذا العلوّ الثابت له تبارك وتعالى، ولايقدح هذا فى التنزيه. ويرد عليها ما يرد على الأولى مضافاً لها إلى ما سيوافك من الآيات القرآنية.

موقف الذكر الحكيم من أمر الرؤية:

إنّ الذكر الحكيم يصف الله سبحانه بصفات تهدف جميعها إلى تنزيهه عن الجسم والجسمانية وأنّه ليس له مثل ولانظير ولا ندّ ولا كفء، وأنّه محيط بكلّ شيءٍ ولايحيطه شيءٌ إلى غير ذلك من الصفات المنزّهه، نشير إلى بعض منها:(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (۱)(وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) (۲)(هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما

۱- الشورى: ۱۱.

۲- التوحيد: ۴.

ص: ۱۴۹

کُنْتُمْ) (۱)(أَلا إِنَّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ مُحِیطٌ) (۲)(لا تُدْرِکُهُ الأَبْصارُ وهُوَ یُدْرِکُ الأَبْصارَ وهُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ) (۳) فهو مع الأشیاء معیهٔ قیومیهٔ لامعیهٔ مکانیهٔ؛ وذلک مقتضی کونه قیوماً وما سواه قائماً به، ولایمکن للقیوم الغیبوبهٔ عمّا قام به، فالجمیع محاط وهو محیط، ومن کان بهذه المنزلهٔ لاتدرکه الأبصار الصغیرهٔ الضعیفهٔ ولایقع فی أفقها، ولکنّه لکونه محیط، یدرک الأبصار!

فمن تلاـ هذه الآیات وتدبّر فیها یحکم بأنّه سبحانه فوق أن یقع فی وهم الإنسان وفکره ومجال بصره وعینه، مع أنّه کان ولاعلوّ ولاجههٔ، بل هو خالقهما، وهو محیط بکلّ شیء.

هذا من جانب، ومن جانب آخر نری أنّه سبحانه کلّما طرح مسألهٔ الرؤیهٔ فی القرآن الکریم فانّما یطرحها لیؤکد عجزالإنسان عن نیلها، ویعتبر سؤالها وتمنّیها من الإنسان أمراً فظیعاً وقبیحاً وتطلّعاً إلی ما هو دونه، قال سبحانه:(لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّی نَرَی اللَّهَ جَهْرَهً فَأَخَذَتْکُمُ الصَّاعِقَهُ وأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) (۴) وقال سبحانه:

۱- الحدید: ۴.

۲- فصلت: ۵.

۳- الأنعام: ۱۰۳.

۴- البقره: ۵۵.

ص: ۱۵۰

(أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) (۱) وقال سبحانه:(قالَ رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ قالَ لَنْ تَرانِی) (۲) فالإمعان بما ورد فيها من عتاب وتنديد بل وإماتة وإنزال عذاب يدلّ بوضوح على أنّ الرؤية فوق قابلية الإنسان، وطلبه لها أشبه بالتطلّع إلى أمر محال. هذا بغضّ النظر عن الدنيا والآخرة، ولاصلة لها بظرف السؤال.

دراسة أدّلة النافين

الآية الأولى:(لا تُدْرِکُهُ الأَبْصارُ) (۳). الاستدلال بالآية يتوقّف على البحث فی مرحلتين:

المرحلة الاولى: فی بيان مفهوم الدرک لغةً.

الدرک فی اللغة «اللحوق والوصول». وأدرکته ببصری أی رأيته. فالإدراک بالبصر: إلتحاق من الرائی بالمرئی بالبصر.

المرحلة الثانية: فی بيان مفهوم الآية: أنّه إذا تعالى عن تعلّق الأبصار فقد خرج عن حيطة الأشياء، و «اللطيف» هو الرقيق النافذ فی الشیء و «الخبير» من له الخبرة الكاملة، فإذا كان

۱- النساء: ۱۵۳؛ أيضا الفرقان: ۲۱.

۲- الأعراف: ۱۴۳.

۳- الأنعام: ۱۰۳.

ص: ۱۵۱

تعالی محیطاً بکلّ شیءٍ لرقّته ونفوذه فی الأشیاء، کان شاهداً علی کلّ شیءٍ ومع ذلک فهو عالم بظواهر الأشیاء وبواطنها من غیرأن یشغله شیء عن شیء أو یحتجب عنه شیء بشیءٍ، وإنّ لفظ الأبصار صیغة جمع دخل علیها الألف واللام فهو یفید الاستغراق أی لایدرکه أحد من ذوی الأبصار.

الآیة الثانی:(وَ لا یُحِیطُونَ بِهِ عِلْماً) (۱) بیانها: أنّ الرؤیة سواء أوقعت علی جمیع الذات أم علی جزئها، فهی نوع إحاطة علمیة من البشر به سبحانه، وقد قال:(وَ لا یُحِیطُونَ بِهِ عِلْماً) (۲) الآیة الثالثة:(قالَ لَنْ تَرانِی). (۳) المفهوم الصحیح للآیة: هو تعالیه سبحانه عن الرؤیة، وأنّ سؤاله الرؤیة أمر عظیم فظیع لایمحی أثره إلّا بالتوبة؛ وذلک لوجوه:

۱- الإجابة بالنفی المؤبّد الدّال علی عدم تحققها أبداً لا فی

۱- طه: ۱۱۰.

۲- طه: ۱۱۰.

۳- الأعراف: ۱۴۳.

ص: ۱۵۲

هذه الدّنیا ولا فی الآخرة.

۲- تعلیق الرؤیـة علی أمر غیر واقع: علّق سـبحانه الرؤیة علی اسـتقرار الجبل وبقائه علی الحالة التی کان علیها عند التجلّی وعدم تحوّله إلی ذرّات ترابیـة صـغار بعـده، والمفروض أنّـه لم یبـق علی حـالته السابقـة وبطلت هـوّیته وصـارت تراباً مـدکوکاً، فـإذا انتفی المعلّق علیه(بقاء الجبل علی حالته) ینتفی المعلّق، وهو الرؤیة.

۳- تنزیهه سبحانه بعد الإفاقة عن الرؤیة:

تـذکر الآیـة أنّ موسـی لمّا أفاق فأوّل ما تکلّم به هو تسبیحه سـبحانه وتنزیهه وقال: «سـبحانک»؛ وذلک لأنّ الرّؤیة لاتنفکّ عن الجهة والجسمیة وغیرهما من النقائص؛ فنزّمه سبحانه عنها، فطلبها نوع تصدیق لها.

۴- توبته لأجل طلب الرؤیـة: إنّ موسـی بعـد ما أفاق أخذ بالتنزیه أوّلًا والتوبة والإنابة إلی ربّه ثانیاً، وظاهرالآیة أنّه تاب من سؤاله، کما أنّ الظاهر من قوله «وأنا أوّل المؤمنین» أنّه أوّل المصدّقین بأنّه لایری بتاتاً.

ص: ۱۵۳

شبهات المخالفین

الشبهة الاولی:

لو کانت الرؤیة ممتنعة لما سألها الکلیم، ولاشکّ فی کون موسی عارفاً بما یجب ویجوز ویمتنع علی الله تعالی، وحیث سألها علمنا أنّ الرؤیة جائزة علی الله تعالی!

الجواب: أنّ القرائن تشهد علی أنّه سأل الرؤیة علی لسان قومه حیث کانوا مصرّین علی ذلک، انظر قوله سبحانه:(قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَکْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وإِیَّایَ أَ تُهْلِکُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنّا) (۱) ولقوله تعالی:(فَقَدْ سَأَلُوا مُوسی أَکْبَرَ مِنْ ذلِکَ فَقالُوا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) (۲) و توضیح ذلک: أنّ الکلیم لمّا أخبر قومه بأنّ الله کلّمه وقرّبه وناجاه، قال قومه: لن نؤمن بک حتّی نسمع کلامه کما سمعت، فاختارمنهم سبعین رجلًا لمیقاته وسأله سبحانه أن یکلّمه؛ فلمّا کلّمه الله وسمع القوم کلامه، قالوا:(لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتّی نَرَی اللّهَ جَهْرَةً) (۳) فعند ذلک(أَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) (۴). فقد

۱- الأعراف: ۱۵۵.

۲- النساء: ۱۵۳.

۳- البقره: ۵۵.

۴- البقره: ۵۵ والنساء: ۱۵۳؛ ر. ک. الصدوق، التوحید: ۱۲۱/ ح ۲۴ باب ماجاء فی الرؤیة.

ص: ۱۵۴

اتّضح ممّا ذکرنا عدم دلالة الآیة علی إمکان رؤیته سبحانه بطلب موسی(ع).

الشبهة الثانیة:

إنّ تجلّیه سبحانه للجبل هو رؤیة الجبل له، فلّما رآهُ(سبحانه) اندکّت أجزاؤه، فإذا کان الأمر کذلک ثبت أنّه تعالی جائز الرؤیة، وأقصی ما یقال: إنّه تعالی خلق فی ذلک الجبل الحیاة والعقل والفهم، ثم خلق فیه الرؤیة متعلّقة بذات الله. (۱) لکن یلاحظ علی هذا الکلام: لیس فی الآیة أی دلیل علیه، وظاهر الآیة أنّه سبحانه تجلّی للجبل وهو لم یتحمّل تجلّیه، لا أنّه رآه وشاهده! وأمّا التجلّی، فکما یحتمل أن یکون بالذات، کذلک یحتمل أن یکون بالفعل، فمن لم یتحمّل تجلّیه بفعله وقدرته، فالأولی أن لا یتحمّل تجلّیه بذاته، وعندئذٍ فمن المحتمل جدّاً أن یکون تجلّیه بآثاره وقدرته وأفعاله.

لذا لایمکن التمسّک به وطرح الدلائل القاطعة عقلًا ونقلًا علی امتناع رؤیته.

۱- الرازی، مفاتیح الغیب: ۲۴/ ۲۳۲.

ص: ۱۵۵

رؤیة الله فی الذکر الحکیم: «دراسة أدلة المثبتین»

استدّل القائلون بجواز الرؤیة بآیات متعدّدة، والمهّم فیها هو الآیة الآتیة، أعنی قوله سبحانه:

(وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ* إِلی رَبِّها ناظِرَةٌ) (۱)

فإنّ المثبتین یرکّزون علی أنّ الناظرة بمعنی الرؤیـة، کما أنّ نافیها یفسّرونها بمعنی الانتظار، مع أنّ تسلیم کونه بمعنی الرّؤیة غیر مؤثّر فی إثبات مدّعیها کما سیظهر؛ والحقّ عدم دلالتها علی جواز رؤیة الله بتاتاً؛ وذلک لأمرین:

الأوّل: أنّه سبحانه استخدم کلمـة «وجوه» لا «عیون»، والعجب أنّ المستدلّ غفل عن هـذه النکتـة التّی تحدّد معنی الآیة وتخرجها عن الإبهام والتردّد بین المعنیین.

الثانی: نحن نوافق المثبتین بأنّ النظر إذا استعمل مع «إلی» یکون بمعنی الرؤیة لکن الذی یجب أن نلفت إلیه نظر المستدلّ هو أنّه ربّما یکون المعنی اللغوی ذریعـة لتفهیم معنی کنائی ویکون هو المقصود بالأصالـة لا المـدلول اللغوی، فلو قلنا: زید کثیر الرماد، المراد هنا جوده وسخاؤه وکثرة إطعامه، وهذه هی القاعدة الکلیة فی تفسیر کلمات الفصحاء والبلغاء، فلاشک أنّ

۱- قیامة: ۲۲، ۲۳.

ص: ۱۵۶

المراد منه: يرجون رحمته، والمراد من قوله:(لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ) (۱) هو طردهم عن ساحته وعدم شمول رحمته لهم وعدم تعطّفه عليهم، لاعدم مشاهدته إياهم.

و الحاصل: أنّ النظر إذا اسند إلى «العيون» يكون المعنى المراد الاستعمالى والجدّى هو الرؤية على أقسامها، وإذا اسند إلى «الشخص الفقير» أو إلى «الوجوه» فيراد به الرؤية استعمالًا والانتظار جدّاً.

ثم إنّ لصاحب الكشاف هنا كلمة جيدة، حيث يقال بهذا الصدد: «يقال: «أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى» يريد معنى التوقّع والرّجاء.» (۲)

«خمس آيات على مائدة التفسير»

إنّ أصحاب القول بالرؤية يتمسّكون ببعض الآيات مما لا دلالة له على مدّعاهم، بل لا صلة بينه وبين القول بالرؤية:

الآية الاولى:(قالَ يا مُوسى إِنِّى اصْطَفَيْتُکَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِى وبِكَلامِى فَخُذْ ما آتَيْتُکَ وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (۳)

۱- آل عمران: ۷۷.

۲- الأعراف: ۱۴۴.

۳- الزمخشرى، الكشاف: ۳/ ۲۹۴.

ص: ۱۵۷

قيل: إنّ الاستدلال بهذه الآية على جواز الرؤية قوى؛ لأنّ الله تعالى عدّد لموسى(ع) هذه النعم التى أنعم الله بها عليه لما منعه من حصول جائز طلبه منه، فذكر ما ذكر تسلية له، ولو منعه من ممتنع لكان بخطاب آخر وذلك مثل خطابه لنوح(رَبِّ إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى وإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ) (۱) اقول: أنّ إثبات الرؤية بها تحميل للنظرية على الآية، وليس تفسيراً لها؛ لو لمنقل إنّ الآية وردت على خلاف ما يدّعيه، فإنّما وردت فى مورد الامتنان على موسى(ع) وموعظة له أن يكتفى بما اصطفاه الله به من رسالاته وكلامه ويشكره ولايزيد عليه.

الآية الثانية:(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وزِيادَةٌ) (۲) فقد فسّرت الحسنى بالجنّة والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم!

الجواب:

- وإنّ سياق الآية يدلّ على أنّ المراد من الزيادة هو الزيادة على الاستحقاق، قال سبحانه:(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا

۱- هود: ۴۵ و ۴۶.

۲- يونس: ۲۶.

ص: ۱۵۸

الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ويَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) (۱) و قال سبحانه:(لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها ولَدَيْنا مَزِيدٌ) (۲) فإنّ المراد أحد المعنيين، إمّا زيادة على ما يشاؤونه مالم يخطر ببالهم ولم‌تبلغه أمانيهم، أو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم.

الآيـة الثالثـة:(وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً ومُلْكاً كَبِيرا) (۳) قال الرازى: فانّ إحـدى القراءات فى هـذه الآية فى «ملكاً» بفتح ميم وكسر اللام وأجمع المسلمون على أنّ ذلك الملك ليس إلّا الله». (۴) الجواب:

و يلاحظ على كلامه: إنّ المسائل العقائديـة يسـتدلّ عليها بالأدلّة القطعيـة لا بالقراءات الشاذّة، وسياق الآية يدلّ على أنّه هو المُلك- بضمّ الميم وسكون اللّام- وكأنّه سبحانه يقول: وإذا رميت ببصرك الجنة رأيت نعيماً لايوصف وملكاً كبيراً لا يقدّر قدره.

الآية الرابعة: آيات اللقاء:(فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ) (۵)،

۱- النساء: ۱۷۴.

۲- ق: ۳۵.

۳- الإنسان: ۲۰.

۴- الرازى، مفاتيح الغيب: ۱۳/ ۱۳۱.

۵- الكهف: ۱۱۰.

ص: ۱۵۹

(وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ) (۱)،(تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ) (۲).

وجه الاستدلال: أنّ الآيات تنسب اللقاء إلى الله تعالى، ومقتضى الأخذ بالظاهر هو تحققّ اللقاء بالمشاهدة والمعاينة.

لكنّ هذا الاستدلال يلاحظ عليه: أنّ اللقاء كما أضيف فى هذه الآيات إليه سبحانه اضيف إلى غيره فى آيات أخرى، فتارة أضيف إلى لفظ «الآخرة»، قال سبحانه:(وَ قالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقاءِ الآخِرَةِ) (۳) وأخرى إلى لفظ «اليوم» قال سبحانه:(وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا) (۴) وقال سبحانه:(وَ قِيلَ الْيَوْمَ نَنْساكُمْ كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا) (۵) وعلى ذلك يكون المراد من الجميع هو لقاء الناس يوم الجزاء، وإنّما سمّى هذا بلقاء الرّب أو لقاء الله لما تعلّقت المشيئته على مجازاة المحسنين والمسيئين فى ذلك اليوم.

و الّذى يدلّ على أنّ المراد من اللقاء ليس هو الرؤية: أنّ الرؤية تختصّ بالمؤمنين ولا تعمّ الكافرين، مع أنّه سبحانه يعمّم اللقاء بالمؤمن والكافر، فلم‌تبق أيّة فضيلة وزيادة

۱- البقرة: ۲۲۳.

۲- الأحزاب: ۴۴.

۳- المؤمنون: ۳۳ وأيضاً الأعراف: ۱۴۷.

۴- الزمر: ۷۱.

۵- الجاثية: ۳۴.

ص: ۱۶۰

تختصّ بالمؤمنين.

و فى الختـام نقول: إنّ منزلـة آيات اللقاء هى منزلـة آيات الرجوع إلى الله، قال سـبحانه:(إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ) (۱)، ولم نر سلفياً أو أشعرياً يستدلّ بها على رؤية الله سبحانه، مع أنّ وزان الجميع واحد.

ألآيـة الخامسـة: آيـة الحجب:(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (۲) قـال الآلوسـى: لا يرونه تعالى وهو حاضـر ناظر لهم بخلاف المؤمنين، فالحجاب مجاز عن عدم الرؤية؛ لأنّ المحجوب لا يرى ما حجب. واحتج بالآية مالك والشافعى وأنس ابن مالك.

و يلاحظ على هـذا الكلام: أنّ الآية بصدد تهديد المجرمين، وهذا لا يحصل إلّا بتحذيرهم وحرمانهم من رحمته وتعذيبهم فى جحيمه، فالمراد أنّ هؤلاء محجوبون يوم القيامة عن رحمته وإحسانه وكرمه، وبعد ما منعوا من الثواب والكرامة يكون مصير هؤلاء إلى الجحيم وإنّ الله سـبحانه ذكر نعم الجنّـة الكثيرة ومقامـات المؤمنين ولو كانت الرؤيـة من أماثل نعمه سـبحانه فلماذا لم يـذكرها بوضوح كسائر النعم؟!

۱- البقرة: ۱۵۶.

۲- همان: ۱۵۶.

ص: ۱۶۱

رؤية الله فى الأحاديث النبوية

بقى الكلام فى الروايات الواردة حول الرؤية فى الصّحاح والمسانيد ودلالتها على المطلوب، لكنّ الكلام فى حجية الروايات الّتى تعارض الذكر الحكيم وتباينه؛ فإذا كان الكتاب العزيز مهيمناً على سائر الكتب، فلماذا لايكون مهيمناً على السنن المروية عن الرسول(ص)، التى دوّنت بعد مضى ۱۴۳ سنة من رحيله(ص)! ولم‌تصن عن دسّ الأحبار والرهبان! قال سبحانه:

(فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ ولا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) (۱) و لا يعنى ذلک: حذف السّنة من الشريعة ورفع شعار حسبنا كتاب الله، بل يعنى التأكد من صحّتها ثمّ التمسّک بها فى مقام العمل والاعتقاد!

(إِنَّ فِى ذلِکَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيدٌ) (۲)

۱– المائده: ۴۸.

۲– ق: ۳۷.

ص: ۱۶۲

الرؤية القلبية

كان المرتقب من أئمّـة الحديث والكلام الإشارة إلى قسم آخر من الرؤية الّذى ليس هو بعين مادية ولا بصر جسمانى، إنّما هى رؤية أخبر عنها الكتاب ولا تتوقّف على الجهة والمقابلة ولاالتجسيم والمشابهة، قال سبحانه:(وَ كَذلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ والأَرْضِ ولِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) (۱) قال العلّامة الطباطبائى: «إنّه تعالى يثبت فى كلامه قسماً للرؤية والمشاهدة وراء الرؤية البصرّية الحسّية؛ وهى نوع شعور فى الإنسان يشعر بالشىء بنفسه من غير استعمال آلة حسّية أو فكرية، بل يجده وجداناً من غير أن يحجبه عنه حاجب. والذى يتجلّى من كلامه سبحانه أنّ هذاالعلم المسمّى بالرؤية واللقاء يتمّ للصالحين من عبادالله يوم القيامة، قال تعالى:(يا أَيُّهَا الإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ) (۲) فهذا هو العلم الضرورى الخاص. (۳) الذّى لايتردّد إليه الريب.

و ليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون والملحدون».

۱- الأنعام: ۷۵.

۲- الميزان: ۸/ ۲۵۳ ۲۵۲.

۳- الانشقاق: ۶.

ص: ۱۶۳

تكفير «إبن باز» لمن لايقول بالرؤية

غير أنّ مفتى السعودية عبدالعزيز بن باز غالى فى الموضوع؛ وذلك فى الفتوى الصادرة فى ۸/ ۱۴۰۷ ه. المرقّمة ۷۱۷/ ۲ جواباً على سؤال وجّهه عبدالله بن عبدالرحمن يتعلّق بجواز الاقتداء والائتمام بمن لايعتقد بمسألة الرؤية فى يوم القيامة؛ فأفتى: بأنّ من ينكر رؤية الله سبحانه وتعالى فى الآخرة لايصلّى خلفه وهو كافر عند أهل السنّة والجماعة!

و قال أبوبكر المروزى: من زعم أنّ الله لايرى فى الآخرة فقد كفر، وقال من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمى، والجهمى كافر!

و قال إبراهيم بن زياد الصائغ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية، من كذّب بها فهو زنديق، وقال: من زعم أنّ الله لا يرى فقد كفر بالله! وكذّب بالقرآن! وردّ على الله أمره! يستتاب فإن تاب وإلّا قتل!

تحليل هذه الفتيا:

۱- إنّ هذه الفتوى لاتصدر عمّن يجمع بين الرواية والدّراية، وإنّما متفرّعة على القول بأنّ الله مستقرّ على عرشه فوق السّماوات.

ص: ۱۶۴

۲- إنّ النبی الأکرم(ص) کان یقبل إسلام من شهد بوحدانیته سبحانه ورسالة النبی(ص)، وهذا هو البخاری یروی فی صحیحه: أنّ الإسلام بنی علی خمس، ولیس فیه شیءٌ من الإقرار بالرؤیة، وهل النبی(ص) ترک ما هو مقوّم الإیمان والإسلام؟!

۳- إنّ الرؤیة مسألة اجتهادیة تضاربت فیها أقوال الباحثین من المتکلّمین والمفسّرین وکلّ طائفة تتمسّک بلفیف من الآیات؛ فتمسّک المثبت بقوله سبحانه:(إِلی رَبِّها ناظِرَةٌ) وتمسّک النافی بقوله سبحانه(لا تُدْرِکُهُ الأَبْصارُ) فکیف یکون إنکار النافی ردّاً للقرآن، ولا یکون إثبات المثبت ردّاً له؟!

و إذا جاز التأویل لطائفة، فکیف لایسوغ لطائفة اخری؟!

۴- ما معنی قول من یقول فی مقابل المنکر للرؤیة: السیف السیف!؟ بدل أن یقول: الدراسة الدراسة، الحوار الحوار!

ألیس شعار «السیف السیف» ینمُّ عن طبیعة عدوانیة قاسیة ونفسیة خالیة من الرحمة والسماحة؟! وأنا أُجلّ إمام دارالهجرة عن هذه الکلمة!

۵- إنّ نفی الرؤیة شعارُ أئمّة أهل البیت(علیهم السلام) وشعار الإمام أمیرالمؤمنین علی(ع) فی خطبه وکلماته قبل أن یولد جهم وأذنابه، ولأجل ذلک اشتهر: «العدل والتنزیه علوّیان والجبر والتشبیه أمویان»!

ص: ۱۶۵

الخاتمة

لقد تجلّت الحقيقة بأجلى مظاهرها، وهى أصفى من أن تكدّر صفوها الشُّبه؛ ومن قرأ مباحث هذا الفصل بإمعان وتأمّل وقف على أنّ الحقّ مع النافين للرؤية وأنّه ليس للمثبتين دليل لا عقلى ولا نقلى.

فالمسلم مادام له حجّة على عقيدته ولم يكن مقصّراً فى سلوكها لايحكم عليه بشىءٍ من الكفر والفسق ولاالعقاب ولا العذاب وأظنّ أنّه لو انعقد مؤتمر علمى فى جوّ هادئ واستعدّت الطائفتان للتّأمل فى براهين النافين والمثبتين لقلّ الخلاف وتقاربت الطائفتان. نعم إنّ خلافاً دام قروناً لاينتهى بأسبوع أو شهراً وبعقد مؤتمر ومؤتمرين، ولكن الرجاء تقريب الخطى وعدم تكفير إحدى الطائفتين للطائفة الأخرى.

إنّ من كتب حول الرؤية من إخواننا أهل السنّة- من غير

ص: ۱۶۶

فرق بين النافى والمثبت– فقد دقّ كلّ باب ورجع إلى كلّ صحابى وتابعى ومتكلّم وفيلسوف، ولم يدقّ باب أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) وفى مقدّمتهم الإمام على(ع) باب علم النبى(ص) وأقضى الأئمّة وأحد الثقلين اللّذين تركهما النبى(ص) لهداية الأمّة. فقد طفحت خطبه التوحيدية بتنزيهه سبحانه عن رائحة التجسيم وشوب الجهة وإمكان الرؤية، فبلّغ رسالات الله الّتى تعلّمها فى أحضان النبى(ص) بأبلغ بيان. وإذا ذهبت العدلية كالمعتزلة والإمامية إلى امتناع الرؤية فمنه أخذوا ومن منهجه تعلّموا، فبلغوا الغاية فى التنزيه حسب إرشاداته، كما صرّح بذلك غير واحد من أئمّة العدلية(ع)؛ وقد ذكرنا بعض خطبه فيما مضى، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى خطبه فى نهج البلاغة، وإلى كلمات أبنائه الطاهرين(عليهم السلام) فى كتاب التوحيد للشيخ الصدوق(رحمة الله).

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الحمد لله الذى جعلنا من المتمسّكين بولاية أميرالمؤمنين، على بن أبى‌طالب،

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

تم التلخيص فى مدينة قم المشرفة

۱۵ الربيع الثانى من عام ۱۴۲۵ ه. ق.

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شـَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مرکز القائمیه اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریه
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹